الى القارئ

ادب الطليعة

بقلم : البشير بن سلامة

إن لفظة الطليعة فى ميادين الفن والأدب وغيرهما من مظاهر نشاط الانسان مرت بأطوار عديدة غريبة يحبذها البعض وينكرها البعض الآخر ، يعتبرها الناس آنا تطورا بالمعنى الصحيح للكلمة ويرونها مرة اخرى اضطرابا وتغييرا لا يتماشى مع طبيعة الاشياء وصيرورتها .

وغموض هذه الكلمة تأتى من أنها تحمل عند من صدعوا بها أول مرة من الافرنج معانى متراكبة ومتغايرة فترجمها أهل العربية بكلمة لها شحنات قديمة فأضافوا غموضا على غموض خاصة ان مفهوم الطليعة بالمعنى المتداول عند الفنانين الاروبيين يرمز الى حركات فنية معينة .

وإذا كانت كلمة avant-garde رغم ما يكتنفها من غموض يمكن تحديدها بسهولة فان ترجمتها الى لفظة « طليعة » يقحم تصورات أخرى تفرضها روح اللغة العربية من حيث انها لغة تعتمد الاشتقاق والتصرف فى مادة الكلمة بصورة واسعة وتنطوى على شحنات من المعانى تجرى فى عروق أهل الضاد ، مجرى الدم شعروا أم لم يشعروا وتصل شظاياها الى اللغة العامية التى ترجعها بدورها الى الفصحى .

فالطليعة عند الغرب ظهرت بصورة بارزة فى الرسم ثم بعد ذلك فى المسرح والسينما وانتشرت فى الميدان الأدبى وهى وان كانت لفظة عسكرية فهى تعنى ما يقوم به ثلة من الفنانين من أعمال فيها الجرأة والتجديد والتجريب وكأنهم فى الخط الاول من الهجوم . ولكنهم يهاجمون من ؟ وأى شىء ؟

فهم تارة يهاجمون الماضى والعقلية الاكاديمية والسنن المتبعة و « سلطان الذاكرة » كما يقول الفيلسوف الفرنسى « آلان » وتارة اخرى يهاجمون الحاضر أى المجتمع وما دأب عليه من الرضا بصيغ وأشكال من الفن تخدم الوضع السائد ، وفى الواقع فان مهاجمة الحاضر يمكن ان تعد محاولة لنسف امتداد الماضى .

وان الذى يعقد المشكلة هو هذا السؤال : متى يكون الأدب أو الفن من الطليعة ؟ ومتى لا يكون ؟ ومن هو القادر على التمييز بين الأثر الفنى الذى خلق لتغيير النظرة الى العالم وبين الاثر الذى جعل للتلهية والمجالس « الصالونية » و« الموضات » الآنية والجرى وراء النجاح مهما كانت التكاليف . الا تختلط فى بعض الاحيان السبل بين هذين المظهرين فيتمازجا فى الفنان الواحد . اذ الفنان انسان كما ان الانسان جبل على الخير والشر فامتزجا فيه واصبح يتارجح بينهما لا تغريه بالاول ولا تصرفه عن الثانى الا القدرة على التمييز والارادة على التغيير فان الفنان ايضا اذا وصل الى مستوى الوعى الحقيقى برسالته ودوره وايمانه بفنه تستهويه ايضا المظاهر الظرفية من جهة وتتجاذبه نوازع الفن الحقيقية من جهة اخرى فيبقى تتقاذفه أمواج العبقرية وتتناوعه نزغات الجنون ، وليس أسطع مثال من بيكاسو فى هذا المجال .

ولكن رغم هذا فان النقاد والحاذقين لفن من الفنون هم أقدر الناس على التمييز وان شك البعض فى قدرتهم على الحكم حكما موضوعيا فى أثر فنى أضفيت عليه صفة الطليعة . غير ان أمرا واحدا لا يختلف فيه اثنان هو ان الفنان مهما كان مشربه واتجاهه مطالب اولا وبالذات بحذق ماضى ذلك الفن وحاضره فى اسراره ودخائله وجزئياته اذ لا امكان للتغيير وقلب ظهر المجن للقديم واحداث الجديد الا بالتجذر فى ذلك الفن ، وسيطرة عليه كشان « بيكاسو » مثلا الذى حذق الرسم القديم باصوله ومارسه ثم ثار عليه وغيره تغييرا .

ولقد عرف العرب فى قديم الزمان مظهرا من مظاهر الطليعة بهذا المعنى فى حركة المولدين الذين خرجوا عمن قبلهم من الشعراء فى الاغراض وتوليد المعانى فسموا « المولد من الكلام مولدا اذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما مضى » والمولد « المحدث من كل شىء » وسمى المولدون من الشعراء « لحدوثهم » . واقترنت هذه الحركة فى بعض الاحيان بالظرف والظرفاء وامتاز

المولدون بعلمهم العريق فى الفن الذى جددوه وبذلك صمدوا أمام غربال الزمان وبقى أدبهم الى اليوم صحيحا مسلما .

فما احرى بنا ان نترجم كلمة avant-garde فى الفن والادب بكلمة مولد لان لفظة الطليعة فى العربية وما يشتق من مادة طلع قد لا يفيد المعنى الذى نريد فحتى فى الميدان العسكرى فان avant-garde هى مقدمة الجيش التى تصطدم بالعدو وتفتح فتحة فى صفوفه بينما الطليعة فى العربية (لسان العرب) « هم القوم يبعثون لمطالعة خبر العدو » . وان فى مادة طلع ما لا يفيد المعنى المقصود . فالطالع من السهام هو الذى يقع وراء الهدف قال الشاعر :

لها أسهم لا قاصرات عن الحشا ولا شاخصات عن فؤادى طوالع

وطلع من اسماء الاضداد بمعنى غاب . والطلعة (بضم الطاء وفتح اللام) الكثيرة التطلع الى الشىء اى انها كثيرة الميل الى هواها تشتهيه حتى تهلك صاحبها والطلع (بفتح الطاء وتسكين اللام) نور النخلة ما دام فى الكافور وأطلع الرجل أى قاء (عافانا الله من أدب يدخل تحت هذا المعنى) . والطلع (بكسر الطاء) من أسماء الحية . وأحسن ترجمة لكلمة avant-gardiste هى طلاع (بتضعيف اللام) اذ العرب تقول فلان طلاع الثنايا اذا كان يجلو الامور فيقهرها بمعرفته وتجاربه وجودة رأيه وقال الحجاج « انا ابن جلا وطلاع الثنايا » ومن هذه الكلمة تأتى طلاعية avant-garde وارشق معنى يدل على الطليعة كما عرفها الغرب هو ما نقوله فى العامية اذا خرج احدهم بموقف او برأى لا ينتظر منه : « أش نيه ها الطلعة (بفتح الطاء وتسكين اللام) اللى طلعت لى بها »

معذرة أيها القارىء الكريم عن هذه الشطحات اللغوية وليس من ذنبى ان أوحى لى بذلك بعض أدب الطليعة (ويعلم الله كم انا اتذوق بعضه الآخر سواء الغربى منه او العربى) بشطحاته الادبية سليلة اخواتها الصوفية .

واذا كان من العسير فى الادب العربى اليوم غربلة أدب الطليعة وانصاف رجاله نظرا الى خلو الساحة الادبية من النقد العميق والنقاد المعترف بحكمهم من الجميع فانه لا مناص من طرح عدد كبير من المتطفلين على هذا النوع من الادب أى فى الواقع التجديد فى الادب حسب مقاييس أسوقها للتدبر والتعميق .

فليس هو من الادب الطليعي فى شىء من :

ـ لم يكتب ولو مرة واحدة أثرا فنيا وحشر نفسه فى زمرة بعض من القى بتجاربه على الطريق وراح يصرخ فى الندوات والملتقيات لفتا للانظار واحتكارا للقول واى قول .

ـ عبر عن جهله بأبسط قواعد اللغة وداسها و « كسر كرائمها »

ـ لم يستوعب الفن الذى يكتب فيه استيعابا تاما بحيث لا تخفاه خافية مما سبق ان انتجه غيره قبله فى ذاك المجال .

ـ مال الى السهولة باستعمال العامية بصورة مطردة ولم ينطلــق منهــا لتطعيم الفصحى مع المحافظة على عبقريتها .

ـ من ينتحــل صفة الاديب وهــو لا يؤمــن بالأدب وذلــك لخدمــة نزعــة ايديولوجية ما .

هذه خواطر عن أدب الطليعة اردت سوقها لتكون انطلاقا لحركة نقدية لهذا النوع من الادب الذى ان صح وسلم يكون هو مستقبل الادب .

البشير بن سلامة

بورقيبة ومواجهة الرأي العام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية

بقلم : الدكتور عبد الغفار محمد حسين

كنا نشرنا بالعدد السادس من السنة 22 بمجلة الفكر (مارس 1977) دراسة للدكتور عبد الغفار محمد حسين مدرس التاريخ الحديث بكلية التربية بجامعة طنطا بعنوان : « من الحركات الوطنية العربية تجربة رائدة بورقيبة وكفاح شعب » . وقد ترجمت مجلة « ديالوف » الدراسة ونشرتها ثم اخرجت دائرة التوجيه بالحزب الاشتراكي الدستوري النصين العربي والفرنسي في نشرة منفصلة . وهانحن ننشر في هذا العدد والعدد القادم دراسة اخرى للدكتور عبد الغفار محمد حسين حول بورقيبة ومواجهة الرأى العام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية وذلك بمناسبة الاحتفال فى غرة جوان بعيد النصر وهى ذكرى رجوع المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة فى غرة جوان 1955 منتصرا على الاستعمار فاتحا لتونس بذلك عهدا من الاستقلال والكرامة والعزة

ـ الفكر ـ

كان الحبيب بورقيبة ، وهو الرجل الذى اخلص لبلاده ، وكانت له نظرية خاصة فى الكفاح قامت على اساس ان تونس تصارع دولة عظمى برجالها وعتادها ، فعمل على ان ينفخ فى الامة روح المقاومة ويحملها على الاستعداد للوقوف فى وجه الطغيان الفرنسى (1) وذلك بتوحيد الصفوف وتكوين

---

(1) الاستقلال التام هدفنا وغايتنا . خطاب بورقيبة فى القلعة الكبرى فى 7 اكتوبر سنة 1955 بورقيبة : احاديث سنتى 55 / 1956 ص 85 ـ 88

الانصار ، ثم تلقين هذه الكوادر الشعبية طرق الكفاح واساليبها والعمل فى نفس الوقت على كسب الرأى العام العالمى ، وكسب عطف الشعوب الحرة ، حتى اذا ما اكتملت الصفوف فانه يستطيع حينئذ استرجاع الحق التونسى السليب ، والا فالمقاومة العسكرية هى السبيل (2) ولذا فقد كان دائما يبحث عن مناصرة أحرار العالم فى الشرق والغرب وفى فرنسا وفى صحفها التقدمية ، حتى لا يجد الرجعيون فى فرنسا صحفا يروجون فيها آراءهم العقيمة ، فتحل بذلك الصداقة والتعاون محل الحقد والضغينة (3)

من اجل هذا كانت لبورقيبة زيارات وكانت له رحلات ، وفى كل منها شرح وناقش وأوضح هدفه وهدف الحزب الدستورى وشرح ما غمض من قضية تونس امام الرأى العام العالمى الحر .

وبورقيبة لم يكد يفرج عنه من السجون الفرنسية اثناء الحرب العالمية الثانية ، حتى تتبعه الجبروت الفرنسى فكان اتصاله بالقنصل العام الامريكى فى تونس هوكر دولتيل Hooker Doolitle الذى توسط بينه وبين المقيم العام الفرنسى ، ولكن لم تكد تهدأ الاحوال قليلا حتى شعر بتتبع السلطات الفرنسية له ، وكان ان قرر قراره ، يؤيده فى ذلك صحبه ورفاقه من زعماء الحزب الدستورى على ان يرحل بورقيبة الى الشرق ليشرح قضية بلاده وليكسب لها الانصار والتأييد وليهرب من قبضة فرنسا وحجرها لنشاطه (4) .

وفى مصر كان له نشاط سياسى ودبلوماسى ارتبط مع أخوانه من الجزائر والمغرب الاقصى ، وكان لذلك قصة .

ولكننى لست بصدد شرح هذه القصة . قصة نشاط بورقيبة فى مصر والعالم العربى ، انما اجد نفسى هنا مدفوعا الى شرح اتصالات بورقيبة وزياراته فى الشرق الاقصى وفى امريكا وفى اوربا . ولنترك نشاطه فى مصر الى مقال آخر .

جاء بورقيبة الى مصر سنة 1946 ونزل بها واخذ يمارس نشاطه الاعلامى

---

(2) اليقظة والامتثال الدستورى . خطاب بورقيبة فى اجتماع عام فى صفاقس فى 22 / 9 / 1955
Habib B. ; Discours. Vol. 1 Années 1955/56. Tunis 1974. PP. 59-62

(3) الاستقلال التام هدفنا وغايتنا (المرجع المذكور) .

(4) انظر . من تاريخ تونس . 7 يونية سنة 1943 (ذكريات الحبيب بورقيبة . نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار سنة 1963) ص 1 ــ 22

والوطني بها ، ويبدو انه لم يكن قانعا بهذا النشاط وانه كان يتحرق شوقا الى مواجهة الرأى العام العالمى الحر بهذه القضية ، لانه راى ان كسب التأييد الدولي لقضية تونس يفيدها بشكل واضح ، ورأى ان امريكا وانجلترا وهما الدولتان الصديقتان لفرنسا حين تتفهمان هذه القضية فلا بد ان ذلك سيؤثر فى الرأى العام الفرنسى نفسه ، وان كسب الرجال الاحرار فى فرنسا نفسها عمل لازم وضرورى ، فالمعركة الحاسمة ، لابد آتية ـ ولا بد ان يكون لتونس اصدقاء ، ولا بد ان يكون لها ولقضيتها مؤيدون . هدفه فى ذلك احراج خصمه ودفعه الى التسليم بالمطالب المشروعة لقضية تونس فى آخر الامر .

فى القـاهرة :

وقد اتيحت لبورقيبة وهو فى القاهرة ان يتصل بالسفير الفرنسى فيهـا م. لاكييه M. Lescyer وان يسلمه مذكرة يذكر له فيها ان فرنسا التى تحاول سلوك سياسة المجـد والعظمـة تتصلـب فى سياستهـا الخارجيـة والامبراطورية مع الدول المستعمرة وتتنكر للثورات التحررية وتتبـع معهـا سياسة ارهاب وحشى لكبتها وقمعها فتدفعها فى ذلك الى اليـأس ، وهـذه الشعوب لا ترغب الا فى الاتفاق مع فرنسا وتعلق آمالا واسعة فى الحصول على حريتها ، واستقلالها بواسطة فرنسا ومساعدتها . وفى الوقت الذى حصلت فيه شعوب كثيرة على حريتها ، وتونس بلد له شخصيته فرضت فرنسا عليه حمايتها ومع ان دواعى هذه الحماية واسبابها قد زالت فان فرنسا لا تـزال تتمسك بهذه الحماية فى الوقت الذى يجب عليها ان تسلم بأحقية الشعـب التونسى فى ان يدير شؤونه بنفسه ، والا تستمع الى صوت الجالية الفرنسية فى تونس وهو صوت متعال تتغلغل فيه الفكرة الاستعمارية ، وتونس ليست ضيعة لهؤلاء ، وانما هى بلد ـ باعتراف كثير من قادة فرنسا ومنهم الجنرال كاترو ـ منظم منذ عهد بعيد ، وهى ايضا تقف ومن ورائها العـالم العربـى والجامعة العربية واصوات العالم الحر ، ان فرنسا يجب ان تستمع لصوت العقل وتفعل مثلما فعلت انجلترا فتعطى الشعوب حريتها قبل ان يفوت الاوان، وتصل الامور الى حد تهديد السلم ، وانها لو استجـابت لهـذا فلـن يلحـق بمصالحها وبنفوذها ضرر بل على العكس ستكتسب تأييد هذه الشعوب ، ثم ان فرنسا يجب ان تفهم ان تونس لن تستسلم لليأس (5) .

---

(5) مذكرة بورقيبة الى م. لاكييه سفير فرنسا فى القاهرة . فى 24 نوفمبـر سنة 1946 : الحبيب بورقيبة : بين تونس وفرنسا كفاح مرير طيلة ربع قرن فى سبيل التعاون الحر . تونس 1957 ص 245 ـ 251

فى الولايات المتحدة :

ومن القاهرة خرج الحبيب بورقيبة فى 2 ديسمبر سنة 1946 فى رحلة اعلامية الى الولايات المتحدة ، وحين احست الاوساط الفرنسية بذلك اخذت تعمل على منعه من تحقيق اهدافه وعلى تشويه صورته امام الرأى العام الامريكى فاتهمته بانه كان صديقا للنازية فلم تفلح ، فأخذت تزعم انه كان هناك برقية ارسلها بورقيبة من القاهرة الى صالح بن يوسف تفيد اتصاله بالرفيق ستالين بواسطة المفوضية الروسية بمصر ، ولكن الخارجية الامريكية لم تعبأ بهذا وانكشف امر هذه البرقية المزورة واخذ بورقيبة يباشر نشاطه فى الاوساط الامريكية ، (6) فلم يكد يصل اليها حتى ادلى بتصريح الى مندوب معهد الشؤون العربية الامريكية فى نيويورك ردا على سؤال له عن اهم النقاط البارزة فى قضية تونس ، وقال له ان الاستعمار الفرنسى مثله مثل الاستعمار الاسبانى فى منطقة الريف المغربية ومثله مثل الاستعمار الصهيونى فى فلسطين يرمى الى فرنسة الشعب العربى فى بلاد المغرب العربى والى قطع الصلة بينه وبين شخصيته العربية ، والى السيطرة على مصالحه ومقدراته الادارية والاقتصادية ، ثم ان الاستعمار الفرنسى يرفض التفاهم مع التونسيين . وياليت فرنسا تفعل مثلما فعل الاستعمار البريطانى الذى يتفاهم مع الشعوب الخاضعة له على اساس المصالح (7) . وبسرعة استطاع بورقيبة ان يلفت نظر الصحافة الى مهمته فقد قالت جريدة (فران تيرور) ان بورقيبة قد حل فى امريكا لانه يريد ان يلفت نظر الامريكيين الى برنامجه فى القضية التونسية رجاء ان يحصل على تأييد ممثلى الدول العربية فى امريكا وهيئة الامم لقضية تونس ، ولانه يريد ان ينشىء مكتبا للدعاية لهذه القضية فى الولايات المتحدة من اجل ان يحصل لتونس على الحرية والاستقلال ، ويرى ان معاضدة الولايات المتحدة وهيئة الامم ضرورية لتحقيق ذلك (8) .

---

(6) رسالة بورقيبة الى الشاذلى القسطلى مدير جريدة النهضة ـ القاهرة فى 30 مارس سنة 1947 منشورات الحزب الاشتراكى الدستورى . (وثائق من تاريخ الحركة القومية 18 يناير 1952)

(7) تصريح بورقيبة الى مندوب المعهد للشؤون العربية الامريكية فى 12/5/1946 : مركز الوثائق القومية . المنشور الثانى عشر 50 ـ 3 ـ (كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار)

(8) استقلال البلاد التونسية جريدة فران تورور فى 46/12/7 . المصدر السابق . المنشور العاشر

وفى العاشر من ديسمبر امكن لبورقيبة ان يلقى كلمة فى حضرة الوفود العربية فى هيئة الامم المتحدة فى نيويورك شرح فيها هدفه من هذه الزيارة وهى انه قدم اليها ليبين للرأى العام الامريكى مقدار الخطر الذى يهدد المغاربة من جراء التعنت الفرنسى ، وليوضح له مقدار ما يعانيه هذا الجزء من العالم من صفوف الاستعمار الفرنسى ، ويشرح له حقيقة القضية التونسية والمغربية والمطالب العادلة للشعب التونسى ، وان قضية المغاربة انما هى جزء لا يتجزأ من قضية العرب اجمعين ، ولذا فبورقيبة جاء ليطالب الشعوب الحرة والعرب باقناع فرنسا ان تستجيب لصوت العقل وتفرج عن الباى محمد المنصف الذى خلعته ظلما وعن الامير عبد الكريم الخطابى الذى نفته الى جزيرة رينيون منذ اكثر من عشرين عاما ، وتستجيب لمطالب الشعب التونسى والمغربى الواضحة والعادلة ، فميثاق هيئة الامم الذى وقعته فرنسا يعطى كل أمة حقها فى تقرير مصيرها ، "والان جاء دور الولايات المتحدة التى خاضت غمار الحرب العالمية الثانية دفاعا عن الحرية وقضاء على الاستعباد لتدعو فرنسا لتطبيق هذا الميثاق ، ولتقف مع الشعب التونسى حين يعرض قضيته امام هيئة الامم (9) وكان بورقيبة قبل ذلك بأربعة ايام قد حضر مأدبة اقامها نواب وممثلو الشعوب العربية فى مجلس الامن اكراما للامير فيصل وزير خارجية السعودية فجن جنون الصحافة الفرنسية عندما رأت هذه الاستجابة وهذا الترحيب ففالت جريدة L'Epoque ان بورقيبة تجرأ بشكل واضح على فرنسا ونسى انها هى التى بنت وجهزت موانى بنزرت وسوسة وصفاقس ، ومدت طرق المواصلات والسكك الحديدية ، وحفرت المناجم ، وقضت على الامراض والاوبئة وانعشت الزراعة والصناعة وفتحت المدارس ، ويدعى ايضا بأنه كان ينوى توقيع اتفاقية مع فرنسا تتيح لها مركزا استراتيجيا وامتيازات اقتصادية وثقافية ولكنه اصبح يخشى من الا تستجيب فرنسا لصوت العقل وتستمر فى تعديها (10) ولم يكن بورقيبة بالرجل الذى يعبأ بهذه التفاهات فقد استطاع ان يتعرف فى الثالث عشر من ديسمبر فى فندق (والدورف استوريا) بعدة شخصيات عربية وامريكية رسمية شرح أمامهم قضية بلاده ، كما اقام له المكتب العربى فى واشنطن فى الثامن عشر منه مأدبة حضرها العديد من

---

(9) كلمة بورقيبة فى حضرة الوفود العربية فى هيئة الامم بنيويورك فى 10 / 12 / 46 . مركز الوثائق القومية . المنشور العاشر .

(10) على نحو هوشيمينه . تعليق جريدة (العصر) على كلمة بورقيبة فى الامم المتحدة فى 1946/12/10 . مركز الوثائق القومية . ص 4 .

الشخصيات التى ابدت تفهما وتأييدا لقضية تونس ، وفى 15 يناير سنة 1947 حضر المادبة التى اقامتها السفارة السعودية اكراما للامير فيصل ، وفيها تعرف بدين اتشيسون مساعد وزير الخارجية الامريكية ، وم. اندرسن رئيس قسم الشرق الادنى والشمال الافريقى بوزارة الخارجية الامريكية واستمع منه الاثنان بحضور اسعد الفقيه السفير السعودى الى بيان عن قضية تونس ، كما نشرت له صحيفة Bulletin des Nouvelles Arabes فى واشنطن مقالا عن الوضعية القانونية لشمال افريقية وعن علاقته بفرنسا وطبيعة هذه العلاقات وعن احقية تونس فى مطالبها ، وان دول الشمال الافريقى الثلاث تونس والجزائر ومراكش تصمم على نيل حريتها وتتضرر من الاحكام العرفية والحكم العسكرى الذى ما زال معروضا عليها منذ الحرب العالمية الثانية ، وان هذه الظروف والاحوال التى لا يمكن احتمالها تهدد السلام وخاصة اذا ما اصرت فرنسا على سياستها ويجب لذلك ان تهملها هيئة الامم ، فان الجامعة العربية قد تدخلت فى هذه القضية وجعلتها نصب عينها واصبح هناك دول مستعدة لعرض هذه القضية امام الجمعية العامة ومجلس الامن وان تونس تعلن ان معاهدة الحماية التى عقدت فى باردو فى 12 مايو سنة 1881 اصبحت لاغية للاسباب الاتية :

1) انها عقد مفروض بالقوة فرضته فرنسا دون سابق انذار او اعلان بالحرب على الباى .

2) ان فرنسا خالفت نصوصها فاخذت ـ بدلا من ادخال اصلاحات جوهرية ـ تقضى على الشخصية التونسية ، وتذيبها فى الشخصية الفرنسية. وجعلت من الفرنسيين مراكز قوة فى تونس دون ان تترك للتونسيين اى رأى فى حكم بلادهم .

3) لم تنفذ فرنسا واجبها فى الدفاع عن تونس فقد تركتها تسقط فى يد المحور فى نوفمبر سنة 1942 .

4) قامت فرنسا فى 4 مايو سنة 1943 بالاعتداء على الحكم الشرعى فى تونس بدون ادنى سبب وخلعت الباى الذى لم يرتكب جريرة سوى انه اخذ يعمل لمصلحة شعبه ويطلب من فرنسا تنفيذ وعودها واعطاء تونس حريتها .

والحال نفس الشيء فى الجزائر ومراكش (11) ، ثم عاد اتشيسون

---

(11) الحزب الاشتراكى الدستورى . بعث أمة وبناء دولة 1934 ـ 1974 تونس سنة 1974 ص 35 ـ 40 .

واندرسن فاستقبلاه مرة اخرى فى 23 مايو وتحادثا معه عن القضية ولمس منهما تفهما لها ، وفى 22 منه دعى بورقيبة لالقاء محاضرة فـى النـادى الشرقـى بواشنطن استمع له فيها العديد من الشخصيات العربية والامريكية والعديد من الصحفيين (12) .

وكانت الولايات المتحدة فى ذلك الوقت انتقلت اليها مسؤولية السياسة الدولية وانتقل اليها ثقل التوازن الدولى بعد الحرب العالمية الثانيـة وعـاد بورقيبة الى القاهرة فى 22 مارس ليستأنف فيها نشاطه . وكان الذى دفـع بورقيبة الى القيام بهذه الرحلة الدعائية هو وقوفه على اجماع بعض رجـال السلك السياسى الانجليزى والامريكى على اهمية شمال افريقية ، وعلى قيام بعضهم بلفت نظر الاذهان الى نمو الحركات الوطنية فيها ، وخاصة ان قسم الاذاعات العربية فى .B. B. C كان يذيع بلاغات بورقيبة ، وانه طلب منه فى صيف سنة 1946 م خلاصة تاريخية عـن القضيـة التونسيـة والحركـة الدستورية فيها ، وان صديقه هوكر دوليتيل قـد اطلـع وزارة الخـارجية الامريكية على اخبار تونس وقضيتها وشجع هذا بالطبع بورقيبة على القيام بهذه الرحلة ، وشجعه على القيام بانشاء مكتب للدعاية والنشر فى واشنطن يتولى العمل فيه بعض رجال الدستور تكون مهمته اذاعة كافة الاخبار المتعلقة بشمال افريقية والقضايا الوطنية فيه ، وكان بورقيبة فى ذلك الوقت يخشى من هيمنة الانجليز والامريكيين على السياسة فى البحر المتوسط ومحاولتهما فرض السيطرة على شمال افريقية (13) .

وقد آتت هذه الزيارة ثمارها ، اذ عاد بورقيبة وكله امل الان فى ان الرأى العام الامريكى والرسمى لا يتأخر عن الوقوف بجانب تونس اذا ما عرضـت قضيتها امام هيئة الامم (14) .

ويبدو ان الرأى العام الفرنسى والاوساط الرسمية فيه قد تأثرت بهـذه

---

(12) الحبيب بورقيبة . حياته وجهاده . ص 94 ــ 95

(13) رسالة بورقيبة الى فرحات عباس . القاهرة 29 يولية سنة 1946 ــ بين تونس وفرنسا ص 232 ــ 244

(14) من حديث صحفى لبورقيبة فى سويسرا تحت عنوان Tunisie vous Parle فى 6 مـارس سنة 1947 ص 316 ــ 319 C. D. N. Dox. X.

الزيارات وأحدثت فيها ضجة واسعة فقامت بنفي وقوع المقابلة بين بورقيبة ودين اتشيسون وان الاخير وعده بوقوف امريكا مع تونس امام هيئة الامم (15)

ولكن بورقيبة اراد ان يهدىء من روع هؤلاء ويشرح لهم حقيقة الوضع ، فصرح الى م. بيار ارتيق مدير وكالة الصحافة الفرنسية A.F.P. بأنه ليس عدوا لفرنسا نفسها ، وانما هو عدو لكل تسلط واستعمار على بلده تونس .

واخذ يشرح له ان السياسة الفرنسية تقوم في تونس على اساس فصلها عن اخواتها العربيات ، والسيطرة على شؤون تونس السياسية والادارية والاقتصادية والثقافية ، وحالت بين تونس والتطور الفكري والحضاري العربي ، وبينما اخذت انجلترا تعطى الاستقلال الذاتي للشعوب الخاضعة لها فان فرنسا مازالت تتمسك بالافكار الاستعمارية البالية، وترفض الاستجابة لمطالب تونس التي تريد الاتفاق معها على حل تدريجي معقول ، ولم تنفذ وعودها المتكررة على لسان م. فيانو سنة 1936 وغيره بمنح تونس حريتها ، وان ما تطلبه تونس وتصر عليه هو ابطال الحماية ورفض فكرة « الاتحاد الفرنسي » لان تونس بلد له شخصيته وبلد عربي مسلم ، واعادة ملكها الشرعي المنصف باى الامير الشرعي .

واستطرد بورقيبة فقال ان الجامعة العربية ليست – كما تدعى فرنسا – آلة بيد انجلترا ، وان شمال افريقيا والجامعة العربية يمكن ان تكون صديقة لفرنسا لو انها غيرت سياستها ومنحت تلك المنطقة حريتها واخذ يحذر من ان قضية تونس ستبسط يوما ما على هيئة الامم وستقف الشعوب الحرة معها وستجد فرنسا نفسها تقف لوحدها ، وهو قبل ان يفوت الاوان يمد يده لفرنسا لتسيير الدولتان تونس وفرنسا معا في كنف الثقة المتبادلة وعلى قدم المساواة (16)

– يتبع –

---

(15) رسالة بورقيبة الى الشاذلي القسطلي (مرجع مذكور) .

(16) تصريح الى م. بيار ارتيق (لست عدوا لفرنسا) بقلم بورقيبة : القاهرة 47/8/9 دائرة الوثائق القومية .

مائوية الصادقية

شعر : محمد الهاشمي زين العابدين

بأى آنتشاء أنشد المجد والقدرا   وأى يراع أكتب العز والفخرا
وأى بيان ؟ بل بأية نخوة   ألذ بما يحمى وما يثلج الصدرا
وأنحت من صم الجوالد هيكلا   أرصعه ماسا وأنقشه تبرا
معلقة نبل المشاعر متنها   وروائع مجلاها تآويل من يقرا
يشع سناها فى النفوس لمبصر   تدبر فيها اللفظ وآستوضح السطرا
ويسمعها راء ويفهم ناظر   ومهما يكن فالصادقى بها أدرى
وكيف وان الصادقية مرضعى   ونافحتى من روحها المجد والبرا
نسائم انعاش كأن أريجها   اذا ما سرى في النفس أسكرها سكرا
فان كنت يوم الصادقية منشدا   فمن جودها أضفى ومن فضله أثرى
حنين اليها يستفز جوانحى   فأرتج مما استخف به سرا
قرأت بها العلم الشريف منزها   وخالطت فيها الضاد والفقه والذكرا
وأوغلت فى جنسى وقومى وأمتى   عن الشيخ والأستاذ «الكرتزى»(I) جذرا
أرف الى آدابه وفنونه   وأكبر فيه الهندسيات والجبرا
يحش اذا أخفقت فى حل مشكل   وفى طبقات الارض يجبر لى كسرا
وتترعها كيلا أياد حريصة   على الضاد اذ تلقى الابانة والهمرا
أصخ لى اذ أتلو عليك صحيفتى   وتروى من الأحداث حافظتى سفرا
اذا كان خير الدين أنشأ معهدا   وأسماه بآسم الباى فى عهده جبرا
لوضع بلادى والدخيل يؤمها   على وشك . والباى يلبسها خسرا

(I) le Cartésien نسبة الى ديكارت وأعنى به الاستاذ الكنانى اذ كنا نأخذ عنه العلوم الصحيحة وعلم طبقات الارض وكنت فى هذا العلم صالحا .

فأعظم بشم صيروه بصدقهم ... على الدهر صرحا صدق رواده آستشرى
به يقظة الأحرار أيقظت الحمى ... وأذكت حميات منافحة كثرا
مسماه أضحى غير صادق بايه ... ولكنه صدق الوفاء الى الخضرا
ييسره ، فيما يلم شتاتها ... وفيما يوقيها التفسخ والكفرا
ويرفع من ذل الهوان جموعها ... الى منزل التكريم وهى به أحرى
رباط تعالى شاهقا متضوئا ... منار هدى يورى بأشواقنا القطرا
أطل على بحر الحضارة رافعا ... خوافق عرفان ، وقومية بكرا
أتاح لتوحيد الشمال جهوده ... ورف بأنسام الاخاء على الصحرا
تألق فيه المجد تحت نقابه ... فان أنت أجليت النقاب آنجلى بدرا
تعج بأعمال العظام رحابه ... وتتلو اذا ساءلتها آيهم جهرا
فمن حيث أبصرت الجلال رأيته ... ومن حيث فجرت المعين جرى ثرا
لو آستمعوا دهرا لأصداء صوته ... لرددت الأصداء ما أفعم الدهرا
علوما وآدابا ونبل مواطن ... وفى الى الأمجاد ينشرها نشرا
ويشتاق من نال الوصال بليلة ... فكيف وربع القرن يغمرنى غمرا
سأنفق مما قد كسبت بهديها ... كانفاق معتز ييسره شكرا
وأقنص مما حام فى كبد السما ... فشف آحتجابا تارة وبدا طورا
ذوات جناح حلقت وتقلدت ... قوادمها الجوزاء والأنجم الزهرا
لأسألها وهى الأليفة للعلى ... هل آنبرت الا بكوكبها الشعرى
حبيب ربا فى الصادقية يافعا ... فأنذر للخضرا ووفى بها نذرا
وما كان الا ذلك الفرقد الذى ... أشع فأضوى نوره سرجسا بهرا
كما يشرئب النور للنور فى السما ... وأقواهما فى عين مبصره أسرى
بحر شواظ شع فى غسق الدجى ... وألقى من الأضواء ما وضح المسرى
ويوم ثلاثاء بآذار جاءنا ... « على » (I) على عاداته مبلغا أمرا
فحيا وللطربوش أفرد جانبا ... على مكتب من حول محفظة أعرى
هناك آستوى جهما واطبق جفنه ... وقال لنا : انى مودعكم قسرا
أبى الظلم الا أن يعوق رسالتى ... ويبعدنى عنكم . فلا تركبوا النعرا
فقلنا معاذ الله .. قال آسمعوا وعوا ... ولا تجزعوا فانى ملاقيكم حرا
سأشرح أسباب آنتمائى لحزبنا ... الجديد ـ آختيارا ـ لا أقاد ولا أغرى
فان منال العز بالبذل والفدا ... وبالعمل الجدى لا الخطبة البترا

(I) آخر يوم لعلى البلهوان بالصادقية وكان له مع فصلنا ساعة فى الصباح وأخرى فى المساء .

وان الحبيب الفذ أصدق عامل ... ولن تبصر الخضراء من دونه الفجرا
سنلهبها طاقات جد ويقظة ... وتضحية أو ندرك الفوز والنصرا
فلا النفس أغلى فى الكفاح ولا الفدا ... بملتمس فى أى حادثة عذر
الى أن نراها دولة تونسية ... عتيدة أركان قويمتها غرا
فلا تسل الدمع الغزير اذا جرى ... ونحن حيارى نلعن الضيم والأسرا
ولا تسل الأرجاء لما دوى بها ... صدى خبر أذكى بها غيظنا ضرا
وقوفا صفوفا وحدة قدسية ... فلا نلج الأقسام أو ندفع الغدرا
عن البلهوان الشهم من علم الهدى ... غراس الهدى وهو الوثيق بنا أصرا :
« كفى لعبا ان البلاد مريضة ... وليس بشرب الماء » أدواؤنا تبرا
قلوب بما ضاقت تضج غضوبة ... موقعة رناتها مهج حرى
وبالبلهوان البلهوان سمالها ... لهيب من الاعماق تنفثه جمرا
يفجر كالبركان فى قلب غاصب ... دخانا ونيرانا يفرقعها صخرا
ويقذف أركان الطغاة رضامه ... ويعلن عن ميعاد ثورتنا الكبرى
وعاد على يومها فى عشية ... لآخر توديع له الدرس والسفرا
ومن شرفى أنى الفتى الذى سمت ... له من فؤاد الفصل خطبته العذرا
أثارت هتافا خف « هدرى » لسبره ... على صغرى آستحليت من حلوه المرا
وما كان الا الصادقية أغلقت . ... وشردت الأبناء فى سبل الغبرا
لكى يوقدوا عرض البلاد وطولها ... جذى صادقيات مسعرة سعرا
فثار حماة وآستعد مجاهد ... ونازل فى الساحات بالراية الحمرا
رجال وشبان وحتى عجائز ... نزلن الى الميدان موتورة وترا
اذا ما ذكرت الصادقية جوهرا ... فهذا هو المعنى الذى زنده أورى
على قدر أهليها أصوغ قصيدتى ... وما كان عند الجد أن أركب البهرا
ولكننى فيها النزيه مقالة ... فلا خافض زيدا ولا رافع عمرا
ولا كنت مقوالا تهيجه اللهى . ... فأجرى لديها ، أن أوفيها الأجرا
إباء وفهم وآئتلاف ووحدة ... وصدق واخلاص تنافحها طهرا
فما اطلعت غير الكرام غراسها ... ولا أنبتت الا الذى دعم الأزرا
وان كان ما بين الرجال تمايز ... وعد من الآفات ! فهو من الصغرى !!
كفى الصادقيين آعتزازا وهمة ... حديث آلورى عنهم بأروعه أثرا
ومدرستى أذكت حمية ثلة ... أباة وغذت فيهم الحزم والصبرا
وعلمت الايمان بالحق والحمى ... وان قوى الطغيان نقهرها قهرا
وأفهمت الرواد للعز أنهم ... فيألق غزو فى طريقهم الوعرى
منال ندى عمت عطاياه أرضنا ... وأفضل أحيانا على أمم أخرى

به تلهج الأفواه في كل موطن ... وتشدو به لحنا وتكبره ذكرا
بروح حبيب أمحض الحب قومه ... وأمهره من عفو اخلاصه مهرا
فلا المال يغريه ولا الحظوة التي ... يتيح جداها غاشم غافلا غرا
على سبل التحرير يختط دربه ... ويهدر في وادي الوفا دمه هدرا
ولو شاء أن يرضى لأرضى شؤونه ... فلا يشتكى الا الى عزة وزرا
ولكنه ضحى ليكسب شعبه ... من العزة القعساء اشرفها ذخرا
ويسمعني في الصادقية منشدا ... على مسمع الأجيال آلاءها الغرا
وقد حاطه من كل صوب رجالها ... وأبناؤها والمعجبون بها طرا
عيون تسامت نحوه مشرئبة ... تفرس فيه العين والروح والثغرا
وتقرأ في وجه الرئيس كيانها ... نشاوى بماحققت - ياسيدي - سكرى
وأحلامها شتى ولكن ما سما ... اليه هداك الأمر يستعظم العمرا
لأنك أرسيت النهى ودعمتها ... على أسس وثقى فقوضت السحرا
وأحييت وعيا في القلوب قضى على ... دراويش قد كانت تضاليلهم وغرا
وقامت لجد الأمر دولة أمة ... تجد وللارجاف لا تأتلى زجرا
تلاقيك عند الجد بالرشد والهدى ... وتصفيك محض الود والامن والبشرى
وتبدو لراء سامع متعرف ... يريد بما يدريه أن يبلو الخبرا
بلادا سخيا تربها ومناخها ... وشعبا نبيلا عاملا سيدا برا
له من ذكاء الطبع ما راع وآستبى ... ومن دقة الادراك ما يبهر الفكرا
ومن طاقة الانجاز قدرة ظافر ... بأحسن ما ينويه اذ يحكم الضفرا
عدته العوادى غير ذى تبعية ... فليس يباع الدهر بالفلس أو يشرى
فضيلته العظمى دراية أهله ... وعزة نفس لا تراود كى تمرى
وقدرته كسب الرهان بحذقه ... وانماء ما يسميه بعض الورى فقرا
قرأت كتاب الصادقى فلم أجد ... على آسم حبيب الشعب كوكبه الطغرى
فقالت لى الجوزاء : أبصر سما العلى ... تر النجم وضاء بقبتها الخضرا
فأدركت أن النور يصهر تارة ... عقودا من اللألاء ينشرها درا
كما نشرتها الصادقية برة ... على صادقيات موحدة تترى
بنات رؤوم أنجبت في ربوعنا ... مدارس من إثمارها أطلعت غرا
بناها بأنفاس الحبيب رجالها ... وراموا ذرى العرفان وآستلهموا الشعرا
ليذكيها في التونسى حمية ... تسخر في كسب وتعهده غيرى
وتلقى بعرض البحر ما كان زائفا ... وتعبر توقا للعلى أوجه عبرا .
بأجنحة الايمان رفرف عزمها ... وصدق طموح ناشد العيش والعصرا
على مسمع الدنيا يردد شدوه : ... حللت هنا والصادقية والقدرا .

قطار الحضارة

بقلم : الدكتور جعفر ماجد

الحضارة في هذا العصر كالقطار الذى يخرق الحدود من قطر الى قطر ومن أمة الى أمة حاملا شتى انواع السلع وعارضا ارائكه للراغبين فـى السفـر . وإذا كانت حضارات الأمس تنتقل بسرعة الناقة فحضارة اليلوم تطير بمحركات قوية ولكنها لا تتوقف فى المحطات إلا قليلا لان الناس اصبحـوا لا يطيقـون الانتظار ولا يصبرون على طول المسافة . وقطار الحضارة غنى بالمفاجآت ، وهو لا ينقل البضائع المعلبة والثياب الغريبة الصنع وادوات الزينة فقط ، وانما يحمل أيضا لمستقبله كميات وافرة من الافكار الجديدة والعـادات والموضـات يطرحها على عجل فوق الرصيف فيقتنى منها الجائعـون والعـراة والحفـاة واصحاب الجيوب الفارغة والرؤوس الخاوية . الا ان المتزاحمين علـى هـذه المعروضات الغريبة ، لطول ما أضناهم الشوق لا يأخذون منها كل على قـدر حاجته بل تراهم كالمتسابقين الى أسواق الملابس الامريكية القديمة لا يتريثون فى اختبار المقياس اللازم والشكل المناسب ويتهافتون على أكداسها فيأخذون ما وقعت عليه ايديهم خشية نفاد البضاعة والندامة علـى فـوات الفرصـة . فيخرج هذا ببنطلون فضفاض وذاك ببدلة ضيقة وآخر بحذاء موجـع ورابـع بنظارات محرفة . أما الذين ازدردوا الاسماك واللحوم والغلال المصبرة وشتى أنواع المعجون والجبن فقد تثقل عليهم أمعاؤهم فمنهم المتثائب ومنهم الغرثان ومنهم المتقىء لانهم لم يقدروا على هضم ما أكلوا ولم يتخيروا لابدانهم ما يكون نافعا مفيدا . وقد كان الناس فى القديم اذا تعبوا يستريحون فى ظل شجرة ويستعينون بالمشى على كثرة الاكل ولكننا اليوم لا نعرف معنـى للراحـة الا بعزل الجسم عن اشعة الشمس والهواء النقـى لان الزمـان الـذى نقيسـه بالساعات الدقيقة بدا لنا اقصر مما عرفه سابقونا فأصبحنـا نجـرى بغيـر أقدامنا ونعمل بغير ايدينا وقد نستدعى النوم فى غيـر ابانـه بالوسائـل الجديدة فننام بغير اجفاننا ايضا .

وقطار الحضارة لا يفرض الحجز على راكبيه ، فيجمع اشتاتا من الاجناس والامم يختلفون عن بعضهم بعضا فى لغاتهم وهيآتهم وطاقاتهم على مشاق السفر ولكنه لا يضمن لهم الامن . فقد تعترض سبيله جماعات من اللصوص وقطاع الطريق ، مثلما يقع فى بعض الجهات الامريكية والاوروبية اليوم . فيقتحمونه بالقوة وكثيرا ما يكونون مسلحين ، ويعيثون فيه فسادا . تارة يسلبون وينهبون ، فاذا امة كاملة يسرق منها تراثها النفيس وحضارتها العريقة وتاريخها الزاهر ، وتارة يحقنون الركب بعقاقير التنويم والتخدير فيفقدونهم ذاكرتهم ويغدون لا يسألون عن المحطات المقبلة ولا يعرفون نهاية السفرة ، أو يرهبونهم ويعنفونهم فيستسلمون لهم طيعين حتى اذا اشرفوا على شفا واد سحيق حولوا وجهة القطار الى حيث يتحطم براكبيه بعد ان يكونوا افرغوه من صناديق الذهب وقوارير العطر واكياس النقود والقوها من النافذة .

ما من أمة الا سطا عليها اللصوص فى مرحلة من مراحل سفرتها الحضارية، إلا أن اللص قد يكون عدوا مغيرا أو ابنا عاقا . فالوافدون من بعيد كالدول الاستعمارية أغاروا على حضارات كثيرة وكانت تونس قد استعدت فى القرن التاسع عشر للرحيل وهيأت شيئا من الزاد يضمن لها سلامة الطريق غير ان العصابات الارهابية تحالفت مع لصوص من الداخل ليحولوا وجهة القطار . والامم التى اغتصبها جمع من ذويها كثيرة فى التاريخ . اما الذين يكونون مشاركين فى السفرة ويتآمرون على رفاق الطريق فهم أشد اذى واكثر عددا لانهم يمتلكون كلمة السر ويعرفون مراحل الرحلة والمنعرجات التى يسهل فيها الاختطاف والنهب . وشر انواع النهب هو سلب الارادة . لقد شاهدت مرة على شاشة التليفزيون فلما من الافلام التى تنقش فى الذاكرة كالنقش فى الحجر ، تتلخص احداثه فى ان شابين مزعجين ركبا قاطرة امريكية واخذا يتفننان فى مضايقة المسافرين . فهذا يفصل بينه وبين خطيبته فيلوذ بالبكاء وذاك تغازل زوجته بمرأى ومسمع منه وتمتد الايدى الى مفاتن جسمها فلا يحرك ساكنا وآخر يقصى عن مكانه باللكم والركل فيمتثل مكرها وهو يتكلف الابتسام . وقد اصبح كل واحد من الراكبين يعتصم بالصمت ويحول وجهه عما يرى ، فسرت عدوى الانخذال الى جميع النفوس وانضافت الارادات المسلوبة الى قوة الشر واصبحت غرفة القاطرة كالجحيم المغلق لا تسمع فيه الا قهقهات المعتدين ولا ترى الا وجوها كالحة محنطة تحركها الايادى العابثة من حين الى حين كما تحرك الدمى . وعرف الناس عن بعضهم فى تلك الحال ما كانوا يجهلون حين سقط الوقار وتمكن

الخوف وراح كل واحد يطلب النجاة لنفسه فلا الخطيبة عرفت ضعف خطيبها ولا الزوجة فهمت انانية زوجها وجبنه ، ولكنهم لم يدركوا أن مسؤوليتهم جماعية وان صمتهم عن اول اعتداء هو الذى حكم عليهم بنفس المصير . مثلهم مثل الثيران الثلاثة التى تآمر اثنان منها على الثالث وكان أبيض فاغريا به الأسد فأكله ، ففكر الثانى أن صاحبه الأسود قد يفعل به ما فعلاه بالاول فكاد له عند الاسد حتى اكله ، واستطاب الاسد لحم الثيران فهجم على الثالث ، وآنذاك فطن الى غفلته وقال : ألاانما أكلت يوم أكل الثور الأبيض ! وهكذا كان شأن اولئك المسافرين . فبعدما شلت *العزائم وخارت كل القوى* حتى أصبح المشاهد الجالس أمام شاشة التليفزيون لا يكظم غيظه من شدة ما أدخله الظلم وفقدان الارادة من حيرة على قلبه وارهاق لاعصابه ، قام رجل معصوبة يده فى الجبس واخذ يقاوم بيد واحدة فتمكنت ارادته المفردة من الانتصار على الشر وخلصت ذاك العدد الكبير من الذين شاركوا بصمتهم فى استشراء العدوان .

وما يقال عن الافراد يقال ايضا عن الامم والشعوب . فكم أمة ضعيفة أعانت دولة كبيرة على شبيهات بها ضعيفات حتى اذا خلا الجو للدولة الكبيرة ضمت صديقتها الى ضحاياها . وبلدان العالم الثالث التى تجلس الى جانب حقائبها على الرصيف فى انتظار قطار الحضارة تجمع بينها أخطار الرحلة والشوق الى حسن المآل . فلا يكونن شأنها شأن المسافرين فى القاطرة الامريكية ولتستعدن لمفاجآت الطريق حتى لا يحول القطار .

بكم .. وما بهم صمم

عبد السلام المسدي

إلى عَبَدة الزمان يَجحدون اليومَ
ما آمنوا به بالأمس وينكرون الساعةَ
ما لا يركعون لغيره بكرةً

رَوَى الأشعث بن مَسغبة النَّبطيّ قال :

جمعتْنا أقواس المسجد ليلة قُبيل العشاء نُصغي إلى الإمام ، وما كاد يَروينا حتّى نهض بلالٌ إلى الربوة القصوى فأذّن لها فإذا لِصَدى صوته رَجْعٌ حنينٌ يُمسك القلوبَ عن دقّاتها ، ويأخذ من الأنفاس رحيقَ صفائها ، وهمّتْ بالمعاصم رعشةٌ فإذا النّقيب يُقيمُ للصلاة فأخذت الحناجرُ رُواء حديثا تسبّح بالحمد وتُهلّل بالأرواح أن تَصْعَقَ

فكبّرَ الإمامْ
ودخلنا الإحرامْ

قال ابن مسغبة :

فوالذي نفسي بيده لكأنّ الدّمَ فينا قد سقاه بلالٌ
رحيقا مختوما
مِسكا مسحورًا

وبتُّ ليلتَها أناجي الصّواعق والنجومَ ، وأستحلف البرقَ ألاّ يخطف عن بصري صوتَ الرّبى . وهلَّ الفجر فقصدتُ المسجدَ ولم أتوضأ ، وخلّق القومُ بالمحراب إلا إمامَ المسجد وبلالا ، فرحتُ أصعّدُ في الربوة أطلب عرشَها حتّى سُقيتُ الرّعبَ في الظلام ، فإذا أنا بينَ أذانِ الفجرِ ورجّعِ الأموات.

قال : رأيتُ بلالا يتلوّى على صخرةٍ كأنّه الهرم يجرُّ سنين الهُزال فقبضتُ على نفسي قبضةً خرّتْ لها مُحصّي فقاربَتِ الأنفاسُ منّي ريحَ المحترق على الحَارّة ، ولولا أنْ سدَّ مسامعي الغثيانُ لحَسِبتُ أنَّ الصّيحة قد حلّتْ بقوم صاغرين .

قال : قال بلال وقد فتح عينيه في الظلام يشقّ بالبصر سوادَ السّفح وتنكسرُ لصوته تلاواتُ الكواكب في السّحر : خبِّرْني يا أشعثُ هل أتاك نبأُ رهْطٍ من بني آدمَ كنتُ بينهم يمشون كما نمشي ويأنسون كما نأنس ولكنّهُمْ

بُكْمٌ

وَيَسْمَعُونْ

قال : وما أمرُهم ؟

قال : حللتُ فيهم الساعةَ فإذا هُمْ

إصغاءٌ وإدراكٌ

ثم انصرافٌ فَعَمَىً

كأنّ على رؤوسهم سيفا أليفا أو ملاكا ماردا .

* * *

ثم سكتَ وسكتُّ ولمّا كان السّحَرُ أخذني إلى رحلةِ التّرابِ في لذيذ العذابْ فبلغَ بنا صراطَ القوم فتطهّرْنا وأحْرمنا ثم دعونا وتلونا

فأذّن القوم جماعة وكبّر النقيبُ ثم صلّى الإمام في محرابه والناس في صمت ينظرون، حتى سلّم فتَلاَ من أخبار القوم أثمانا وكان بين الخبر والخبر يتربّعُ وظهره للمحراب فيقوم الناس أمامه لركعتين والنّقيبُ وراءَهم فكأنّ حركاتِهم مِن نَسْجِ اللاهوتْ.

قال المُخبرُ ليلتَها :

— 1 —

« في مُبْتَدَإِ الخلقِ أنشأ الله الدنيا بستانا زيّنَهُ بخمسةِ أشياءَ :

علمِ العلماءْ

وعدلِ الأمراءْ

وعبادة النُّسّاكْ

وطهارة التُّجّارْ

وأمانة الصُّنّاعْ

فجاء إبليسُ فَغَشِيَتْ عينيه أنوارُ الزينة حتى أُغْمِيَ فلمّا أفاق أتى كالأعشى بخمسة أعلام ليُقيمَها في البستان فنصب الحسد جَنْبَ العلمِ والرِّياءِ قرب العبادة والغشّ حذو الطهارة والخيانة قبالة الأمانة، ثم دفع بيده إلى جرابه فلم يَجد خامس الأعلام ففزع وولّى فصاح به عدلُ الأمراءْ :

أجُبْنا أم مَهابة !

قال ابليس : إنّ الشّيطانَ مِن طينةٍ أبدا ظالمة ولم اعرف الظلمَ إلا في عدلِ الأمراءْ.

فضحك العدلُ وانسلّ إبليس فإذا بالحاجب يلهو على سفح البستان وبيده النّصْبُ منقوشا عليه : جورُ الرعيّة فعرف أنّه النّصْبُ الذي جاء به :

بُدّلتْ آياتُهُ

وحُرِّفتْ ألفاظُهُ

فالتفت وجهةَ الحاجب واستوْقف نفسه وقال كاظِما نهيبَه :

سَرَقَهَا منّي

وصنع فيها صُنعا

فيا لأُمِّه ! »

— 2 —

« أصاب الناس قحطٌ على عهد سليمانَ بن داود عليهما السلام فأتوه فقالوا : يانبيَّ الله لو خرجت بالناس إلى الاستسقاء ، فقال قائلهم : بل تخرجُ بنَفَرٍ من جِلّتهم فلا يكون في أصواتهم إلى السماء أخلاط مثل أخلاط الرّعاعِ يحبس الدعاءَ أن يرتفعَ والماءَ أن يقعَ .

فخرج سليمان بالنّفر المختار فلمّا كانوا على البقيع إذا بنملة قائمة على رجليها باسطة يديها وهي تقول : اللهمَّ إنا خلق من خلقك ولا غِنًى عن فضلك فسمعها سليمان ونقلها الى من معه فمازال ينطق حتّى تدفّق الغيثُ ، فأيقن الجمع ، وقفلوا على استحياء . فما حدّثَ أحدٌ منهم بأمرِ دعائهم ... »

— 3 —

« كانت رابعة من ذوات الكرامات عند الناس وكانت تقول : كرامتي كرامتكم .

وباتت ليلة في التّهجّد والصلاة فلمّا انفلق الصبح نامت فدخل السارق بيتها وأخذ ثيابها وقصد الباب فلم يهتد فوضعَها فوجد الباب ، ففعل ذلك مرّات ثم نودي من زاوية البيت أنْ ضَعْ ما أخذت فإنَّ نامَ الحبيبُ فالحقّ يقظان .

ومرّت أيام فعاود الرّجلُ حَيَّ رابعةَ وطاف بمساربه فإذا هي ترعى غنما بينه ذئابٌ ولا شرّ ، فناداها : متى اصطلح الذّئب والغنم ، فقالت :

يومَ اصطلح الراعي والحق . فولّى الرّجل مهموما منتكسا فكانت له من رابعة توبةٌ وكانت لها به مشوبةٌ . »

— 4 —

« رُوي أنّ سائلا وقع على باب رفيع فسألَ ، فأُعطِيَ قليلا ، فجاء من غده بفأسٍ وهوى به على الباب فشدّه من اليد مولاهُ وقال :

— لِمَ تَفعل ؟

فقال : إمّا أن يكون العطاءُ على قدْر الباب أو يكونَ الباب على قدر العطيّة .

فسكتَ وأعْطى ثم همس ، لا تُحدّثْ بأمرِي ولا تُعاودني . »

★ ★ ★

قال : فأخذت برأس رفيقي أجرّه حتّى وقع فقلت :

تَعرفُ كلّ هذا وتكتُمه ! فوالله لأنْتَ التّكبيرُ الشّؤْمُ إنْ صبرت بعدَ اليوم على كلمةٍ حتّى تَميتَها في نفسك فتذوبُ وغيرُك أوْلَى بِهَا منك .

ورد إلى « الفكـــــر »

• المغرب الاسلامي :

أهدانا الدكتور الحبيب الجنحاني كتابه الجديد : المغرب الاسلامي : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرن الثالث والرابع الهجرى وهو من نشر الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر . نشكره على هديته ونتمنى له اطراد الانتاج .

الانسان الشجرة

بقلم : البشير المجدوب

أى سر وجلال فى قامة الانسان تتعالى وتزهو كمال استواء وروعة انتصاب .. تواجه الكائنات جميعا ـ وإن أمعنت فى علوها وعظمتها ـ وتتحداها حوار الند للند !

قامة منتصبة على مقربة من شاطىء البحر فى هذا الضحى الباكر والفضاء فسيح فسيح لا حد له ...

صورة وإطار ازدوجا لا أتم منهما مناسبة ولا أخلص وئاما .. قد صفا الاطار وخلا من الشوائب والطفيليات سكونا ووقارا .. وشخصت الصورة بارزة فى قوة ولا عنف ولا نشاز .. كأنها التمثال الحى ينطق أبهة ومهابة لا تنى تتملى حسنه الوادع الجبار عظمته السمحة الرقيقة .

ويلتقى الخشوع والجمال وتتحد النشوة بالتأمل والاعتبار فكرا نيرا ممراحا فى جده ورصانته طروبا مطلق الطرب فى تصونه واحتشامه ...

إحساس عجيب لا عهد لك به يخالجك فجأة .. شعور حاد بما فى مشية الانسان من غرابة وشذوذ وتفرد وامتياز اذ ترى جماعة من المستحمين يتمشون على حافة الشاطىء وكأنهم الاشجار تتنقل سيرا وئيدا تراه العين وتلحظه ولا تثبته حيرة ودهشا ...

شجرة تتنقل .. ذاك هو الانسان ...

ألم يأتك النبأ القديم .. لقد تعشق الحيوان فى الزمن البعيد شجرة فالتقحا فكان الانسان ....

ومع ذلك فما أصعب أن تكون إنسانا !

إن أقل انحناء فى الظهر أو تقوس فى الرجلين أو ترهل فى البطن أو انحراف انحراف فى المشية يصبغنا توا بسمة الحيوان أقبح الحيوان وأشده سخفا .. واذا هذا يذكرنا بالدب فى تمايله وذاك بالقرد فى تجمع قامته واكتناز حجمه وتلك بالبط فى تفرطح أقدامها وايقاع مشيتها ...

بل لا قبح على الحقيقة فى الحيوان محض وهم .. باطل حكم نسلطه اعتسافا.. صورة زيف نلبسه اياها تحريفا وتشويها .. فما من حيوان الا وهو فى ذاته حسن جميل وكأنما البشر ، آخر الامر ، فصيلتان بل نوعان متمايزان لا يمت أحدهما الى الآخر بصلة .. هذا قد سما بقوامه ونبل هيئته ورشاقة حركاته ، وذاك أزرى به شكله وخانه مظهره فاذا هو كالدعي الدخيل يدفعه هذا الى ذاك تنصلا وإنكارا .. كالشيء الغفل لفه الابهام قد استعصى على النعت والحد ...

البشير المجدوب

هذه الكتب الجديدة وردت على مجلة « الفكر »

- **العلم ومشكلات الانسان المعاصر :** تأليف زهير الكرمى ، صادر عن المجلس الوطنى والفنون والآداب ، الكويت .
- **حبيبك بورقيبة يا ولدى :** من اخراج الدار التونسية للنشر ، تونس 1978 .

كلمات مهموسة

شعر : محسن بن حميد

ينتظر سنين
الماء والعجين
ويعلك الأحلام
ويأكل الطعام
وعندما انبثق
نور من الأفق
قد كان في الميعاد
النمل والجراد
فكل ما اعتقده
وكل ما شيده
وكل ما أمله
أوهى من السراب

* * *

ويل على البشر
من كبوة الخير وهجمة الشر
عندما ينقلب الحب حذر

* * *

لا شيء أقوى من الجنون
كل المجانين

قد دوخوا الكون

لكنهم

أشقى الاشقياء

لأن طريق الجنون
لا تنتهي أبدا

جذور الشعر الحر في الشعر القديم

بقلم : نور الدين صمود

لقد حاول أكثر من شاعر، من الشعراء المعاصرين،أن يدعى لنفسه السبق فى ابتكار الشعر الحر ...... فألف بعضهم الكتب ، وكتب بعضهم المقالات ، وصرح بعضهم للصحفيين لاثبات ذلك ولاقناع القراء والدارسين بأسبقيته وابتكاره .

وتتبع الدارسون هذه القضية فظفروا ببعض النماذج التى ترجع الى الثلاثينات او العشرينات ، وكلهم يحاول أن يأتى بنموذج يسبق قصيدة « الكوليرا » لنازك الملائكة مصدقين بأنها من الشعر الحر وشاكين فى أسبقيتها . أما أنا فقد نفيت أنها من الشعر الحر وأثبت أن كثيرا من الشعراء قد سبقوها بعقد أو عقدين من الزمن ، وها أنى سأثبت أن هناك « نسبقها ـ وسبق مدرسة الشعر الحر كلها ـ بثلاثة قرون وبعشرة قرون أيضا :

« البند » لون من الوان الشعر الحر

(البنـد) لون من ألوان الشعر انتشر فى العراق ابتداء من القرن الحادى عشر ومارسه جماعة من الشعراء الى بداية القرن الحالى للهجرة .

وتختلف طريقة النظم فى « البند » عن الطريقة العروضية المعروفة فى البحور العربية التى احصاها الخليل بن احمد والذين جاؤوا من بعده ، من العروضيين ..

«فالبند أشبه شيء بالشعر الحر اذ يعتمد فيه صاحبه على التفعيلة الموحدة مع اختلاف فى عددها فى كل سطر لكنه يمتاز عنه بانسياب السطور»

بعضها فى بعض بحيث اذا توقفت عند كل قافية او سجعة لم يستقم الوزن فى معظم الاحيان وتضطر الى الوقوف على غير قافية أو على مكان لا يحسن الوقوف عنده ، لذلك كانوا يكتبونه كما يكتب النثر مسترسلا من أول البند الى نهايته .

واول من عرف له مؤرخو الادب مجموعة من البنود هو : « معتوق بن شهاب الموسوى المولود سنة 1025 هـ والمتوفى سنة 1087 هـ.

وقد الف الاديب العراقى عبد الكريم الدجيلى كتابا بعنوان : « البند فى الادب العربى » تاريخه ونصوصه (طبع سنة 1959) .

والملاحظ ان الاستاذ الدجيلى تحدث عن هذا اللون من الشعر كظاهرة ادبية حاول ان يعرف بها وبأصحابها ويذكر أكثر ما يمكن من نماذجها دون أن يؤكد على انها أصل «الشعر الحر» او ان الشعر الحر هو تطوير للبند وامتداداه.

وقد ذكر نماذج لاثنين وأربعين من أصحاب البنود أولهم : « معتوق بن شهاب الموسوى وآخرهم الدكتور حسين محفوظ» المتوفى سنة 1344 هـ .

أما نازك الملائكة فانها تحدثت فى كتابها : « قضايا الشعر المعاصر » عن « البند » قائلة انها لم تسمع عنه شيئا قبل أن تكتب قصيدتها « الكوليرا » أو بعد ذلك بكثير ، ثم قامت بدراسة طويلة معقدة فيها كثير من التكلف لتؤكد أن « البند » له ضوابط وقواعد وقوانين ، ولتثبت انه يختلف عن الشعر الحر اختلافا بينا ويبقى لها فضل السبق فى اكتشاف « الشعر الحر » بقصيدتها « الكوليرا » التى بينا فى مكان آخر انها ليست من الشعر الحر فى شىء .

ولنعد الآن الى البنود لنقدم منها نماذج تظهر صلتها المتينة بالشعر الحر .

وألاحظ بأنى سأكتب البند مسترسلا كالنثر مكتفيا بالفواصل بعد السجعات وبخط مائل فى الاماكن التى يمكن الوقوف عليها باعتبار انتهاء التفعيلات :

وهذا مقطع من بند عن « الآيات الارضية » لمعتوق بن شهاب الموسوى : «خالق» أضحك فى قدرته البرق ، فأبدى / شنب الدمع ، فأجرى / درر الدمع ، فأحيا / بقع الارض فانبتن دنانير بهار / حملتها / قصب الشذر ، ومن حمر يواقيت شقيق المخمل الخضر ، حقاقا / خزن المسك بها القطر ، اذا ما انفتحت كالمقل الرمد من السهر ، ..... الخ

فاذا قرأت هذا النموذج من هذا (البند) ووقفت عند الخط المائل / استقام لك الوزن على تفعيلة بحر الرمل : (فاعلاتن) مع اختلاف في أطوال الاسطر ، اما اذا وقفت عند الفواصل فان الوزن يختل لان الكلام لا يساوى عندئذ تفعيلة الرمل : «فاعلاتن» لكنك اذا أضفت الى أول هذا البند حركة (كالواو) مثلا فقلت : (وخالق أضحك فى قدرته البرق فأبدى ٠٠٠٠٠ الخ) فان وزن البند يصبح عندئذ على تفعيلة الرجز : مستفعلن مع حذف مستمر للقاء الساكنة وهو زحاف جائز فى الرجز .

ومن بنود (معتوق) قوله « فى مدح على كرم الله وجهه » :

(ما لعينى كلما أقلقها البارق بالومض ، تجافى / جفنها عن مضجع الغمض ، وقلبى / كلما دب الصبا الكرخى فى البان ، فحاكى الغصن به العرق فى النبض ، سعى يلتمس المخرج حتى / كاد بالتزفار من صدرى ينقض ، ولا بدع اذ اشتاق الى أرض بها الكل وكل العالم البعض ، فمن لى / أن يدانى بى حظى النجف الاشرف كى أقضى ما فات من الفرض : .... الخ الخ »

ومن البنود الطريفة التى اشتمل عليها كتاب الاستاذ عبد الكريم الدجيلى الآنف الذكر هذا البند عن (تونس) وذكر جهادها ضد الاستعمار للسيد « رضا شكاره » المتوفى سنة 1329 هـ وهو بند قصير يقول فيه :

« وما تونس الا البلد الطيب فى الجد /

وفى الجد / لها ذكرى جهاد جمع العلقم / رعاها الله اذ تم / ونجاها من الغم / ووقاها من الهم / ومن عزم الى عزم / تريك الغرب قد اذعن قسرا / » وهى على تفعيلة بحر الهزج : (مفاعيلن) مع زحاف جائز وهو حذف النون فى الغالب .

اننا اذا تتبعنا هذه النماذج من البنود نلاحظ انها شديدة الشبه بالشعر الحر لاعتمادها على التفعيلة الواحدة وعدم اتحاد السطور فى الاطوال ، ورغم كل هذا فان أصحاب الشعر الحر الذين ابتكروه لم يحتذوه ــ فيما أرجح ــ عند كتابتهم على هذه الطريقة الجديدة ، فالشاعر « على أحمد باكثير » عندما عرب مسرحية « روميو وجوليييت » كان مقلدا لمؤلفها الاصلى (شكسبير) كما صرح بذلك وكان يريد ان يبرهن على قدرة اللغة العربية فى كتابة « الشعر

المرسل ، ثم ان هذا اللون من الشعر لم يكن معروفا لدى الشعراء فى تلك الآونة التى شاعت فيها موجة الشعر الحر .

وامابقية الشعراء امثال السياب ونازك وعبد الصبور والبياتى وقبلهم خليل شيبوب ومحمود حسن اسماعيل ونقولا فياض فقد قلد اللاحق منهم السابق محتذين الشعر الاجنبى والانجليزى منه خاصة ..... **وقد وجدوا فى** مجزوءات البحور الموحدة التفعيلة ومشطوراتها ومنهوكاتها ومزيداتها خير معين على ذلك وانفتح لهذه التجربة الباب على مصراعيه فى مجلة الآداب ، فى أوائل الخمسينات فانتشرت وعمت كافة الاقطار العربية ٠

واذا كنا قد أكدنا منذ حين حرية أصحاب هذا الشعر،أى عدم تقيدهم بوحدة البيت وبالطول القار فاننى قد لاحظت في بعض هذه البنود طريقة غريبة متطرفة في التقيد وليس في هذا التقيد أى شىء من الفن أو الطرافة بل هو « لزوم مالا يلزم » بطريقة مغرقة فى التضييق على النفس وعلى الشعر يخنق الشعر ولا يضيف اليه أى جمال،واترك صاحب هذه البنود نفسه يقدم نفسه،ويشرح هذه الطريقة فى بنوده : « يقول المفتقر الى رحمة ربه العلى على باليل الحسينى » هذه نبذة بنود بندتها على **بحر الرمل** وعدتها 110 بنود غزلا ومدحا ، وقد وضعت كل بند منها على (40) **كلمة اسما كانت أو فعلا أو حرفا** ، مشيرا ، فى كل منها ، الى مسألة علمية ، أو صناعة بديعية ، والى كل من الامرين على المعية .

والملاحظ أن جميع هذه البنود تنتهى بحرف **الراء** ٠

وأحسن نموذج نقدمه من هذه البنود التى تقيد فيها صاحبها **باربعين كلمة** فى كل منها ، هو هذا البند الذى أشار فيه الى التفعيلة التى استعملها **وعددها** الذى كان فيه متحررا ، واسم البحر الذى كتب عليه بنوده هذه ، كما ذكر فيه اسمه أيضا :

« قد أنارت كلماتى / فيه كالشهب وزينت بها فى كل بند / (فاعلاتن) ست مرات فما فوق حوال / ، برزت عن حجل الفكر تجلى / كشموس بزعت فى (رمل الابحر من نظم ابن باليل على) / ، فاخطب الافكار ان كنت لها كفئا ، وأهد السمع مهرا » ٠

ومن حسن الحظ أن هذه الطريقة المفرطة فى التقيد لم تشع بين أصحاب البند والا كان الشعر قد سار من قيد جميل موروث مؤثر ، الى قيد لا معنى له

وليس فيه أي جمال ، أي من قيد التفعيلات القارة المضبوطة الخاضعة للنغم الشعري الى قيد عدد الكلمات الذي يضيق ويرهق ولا يفيد .

واثر هذا التعريف بالبند المعزز بالامثلة تبين لنا أن هذا اللون من الشعر هو **ابو الشعر الحر** ، وانه سابق لكل من زعم أنه رائد هذه المدرسة ومبتكر هذه الطريقة

واذا كان (البند) هو أبو الشعر الحر فان جد الشعر الحر يتمثل في قصيدة ، أو ما شئت لها من الاسماء ، « لابن دريد » صاحب « المقصورة » المشهورة التي طالعها :

يا ظبية أشبه شيء بالمها   ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وعدد ابياتها 229 بيت .

واسمه الكامل : ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي ، عاش في القرنين : الثالث والرابع (223 – 321 هـ) (837 – 933 م)

وأما النموذج المنسوب اليه – والذي يمكن أن نسميه ، تبعا لذلك جدا للشعر الحر . فهو هذه الابيات أو الاسطر التي عثرت على الاربعة الاولى منها في كتاب « ميزان الذهب » لاحمد الهاشمي ، ووجدتها مع السطرين المواليين في كتاب « اعجاز القرآن » لابي بكر الباقلاني ، وقد ظفرت بكامل هذه القطعة في كتاب « البند في الادب العربي .... » لعبد الكريم الدجيلي ، وقد نقلها من آخر صفحة من كتاب (الشاء) للاصمعي (عن المجموعة 166 مجاميع ، المحفوظة بدار الكتب) .

وقد سمى المؤلف هذا النموذج (بندا) وقد سئل الشاعر جميل صدقي الزهاوي عنه فقال : « ان نسبة هذا البند لابن دريد تحتاج الى حجة قوية ، فمثل ابن دريد العلامة اللغوي المشهور لا يتكلم هذا الكلام المستضعف الذي لا يخلو من الركة والقلق والاضطراب) لكنه لم يستبعد نسبته اليه وعزا ما فيه من اضطراب الى النساخ .

ومهما تكن قيمة هذا « البند » أو هذا النموذج القديم جدا من الشعر الحر ، من الناحية الفنية ، فاننا مضطرون الى أن نتخذه نقطة انطلاق للشعر الحر سبقت محاولات كل مدع للاسبقية والابتكار :

والجدير بالذكر ان الزهاوى قد عرف البند فقال : « هو الحلقة الوسطى بين النظم والنثر » وذلك قبل ان يعرف الشعر الحر المعاصر ٠

وأعود الى بند ابن دريد الذى اعتبره جدا للشعر الحر فأشير ، قبل تقديمه الى أنه مكتوب على تفعيلة (الرجز) مستفعلن ٠

والنموذج المكتوب منه فى « ميزان الذهب » قدم فى شكل بيتين : صدرين وعجزين وكذلك فى « اعجاز القرآن » ثلاثة ابيات : ثلاثة أعجاز بصرف النظر عن اطوالها ٠

رب أخ كـنـت بـه مغتبطـا   أشـد كـفـى بـعـرى صحـبـتـه
تـمـسـكـا مـنـى بـالـود ولا   احسبه ٠٠٠٠٠٠ الـمـخ الـمـخ

لكن صاحب كتاب (البند) كتبه مثل جميع البنود التى احتوى عليها كتابه أى كما يكتب النثر ، وقد آثرت كتابته كما يكتب الشعر الحر ، أى حيث يمكن الوقوف الذى تفرضه التفعيلات ، وقد وضعت فى أوائل السطور أرقاما تشير الى عدد تفعيلاتها والملاحظ أن صاحبها قد ارتكب فيها أكثر من زحاف مثل حذف السين أو الفاء وأكثر من حذف (الفاء) وهذان الزحافان جائزان فى الرجز العادى فى الشعر الحر ايضا ٠

فأقرأ هذا (البند) وقارنه بما شئت من قصائد الشعر الحر مـثـل : « أنشودة المطر » لبدر شاكر السياب أو غيرها ٠٠٠٠ وستقتنع عندئذ بأن أقدم نموذج الشعر الحر لا يعود الى سنة 1947 كما تقول نازك الملائكة بل الى القرن الثالث أو الرابع الهجرى : « أى التاسع أو العاشر الميلادى » ٠

3 ـ رب أخ كنت به مغتبطا
3 ـ أشد كفى بعرى صحبته
3 ـ تمسكا منى بالود ولا
3 ـ أحسبه يغير العهد ولا
2 ـ يحول عنه أبدا
2 ـ ما حل روحى جسدى

2 ـ فانقلب العهد به
3 ـ فعدت أن أصلح ما أفسده
1 ـ فاستصعب أن (؟)
8 ـ يأتى طوعا فتأنيت أرجيه فلما لج
في الغى اباء ومضى ، منهمكا
2 ـ غسلت اذ ذاك يدى

2 ـ منه ، ولم آس على
2 ـ ما فات منه ، واذا
3 ـ لج بى الامر الذى تطلبه
3 ـ فعد عنه وتأتى غيره
3 ـ ولا تلج فيه ، فتلقى عنتا
3 ـ وجانب الغى وأهل الفند

4 ـ واصبر على نائبة فاجأك الدهر بها
4 ـ والصبر أحرى بذوى اللب وأربى
بهمو
4 ـ وقل من صابر ما فاجأه الدهر به
2 ـ الا سيلقى فرجا
2 ـ فى يومه ، أو فى غده .

ذلك هو بند ابن دريد ، أو أقدم نموذج من الشعر الحر ، والملاحظ أنه يخلو تماما من أى نوع من أنواع التقفية أو السجع أو ما يشيــر الى أمــاكن الوقوف ، وقد قسمته هكذا حسبما تقتضى التفعيلات ، وهى أسلم طريقة فى اعتقادى .

وأخيرا فان الشك فى صحة نسبة هذا البند الى ابن دريد لا يغير من الامر شيئا ، فالنموذج قديم ، ذكر بعضه الباقلانى فى « اعجاز القرآن » وقد توفى هذا العالم الجليل فى بغداد سنة 1013 م واذن فقد عرف هذا الشعر قبل هذا التاريخ بلا ريب .

ورد عـلى « الفكـــر »

◆ أهدانا صديقنا الاستاذ أحمد خالد كتابـا عن الدستور الجديد والنقابات والاحزاب فى الاحداث الممهدة لمعركة 9 أفريل 1938 ، صدر عن دار العمل .

نشكره على هديته ونتمنى له اطراد الانتاج .

◆ وأهدانا أيضا صديقنا الاستاذ محمد الهادى الطرابلسى فصلة من كراس سلسلة الدراسات الادبية ، الصادرة عن مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية ، بعنوان : « مظـاهر التفكير فى الاسلوب عند العرب » .

نشكره على هذا العمل القيم ونتمنى له اطراد النشر .

الطفل والقرية

قصة : أحمد القديدي

أشياء كثيرة تغيرت منذ أسبوع فى حياة فرحات !

أصبح من المستحيل على شياهه التسع أن تبتعد عن الساقية وان تبحث عن المرعى فى هضاب الجزائر . كانت كل الارض ـ قبل أسبوع ـ منبسطة أمام الشياه وكان الكلأ لا يعرف الحدود وعصا فرحات تهش عليها فى منطقة (الحدود) حيث لا حدود .

كل صباح كانت رحلة فرحات تبدأ من بيته الصغير الذى يقع فى سفح ربوة ساقية سيدى يوسف ، رحلة يومية فيها لذة طلب الرزق والسعى من أجل اللقمة ، ينهض ككل ابناء هذه القرية باكرا ، قبل ان تبزغ الشمس ، يغتسل ويتوضأ ويصلى وينحنى على طفله محمد يحدق فى وجهه الوديع وعينيه المغمضتين ويرى ككل صباح ذلك الضوء الخافت المنبعث من فتيل الزيت يضىء جبينا طلقا صغيرا وفما نصف مفتوح كانما يهم بلثغ او ينفرج عن ابتسام ...

هذه اللحظة من أسعد لحظات فرحات ، كانما يقصد من ورائها افتتاح يومه بما تبثه صورة ولده فى نفسه من سلام وتشجيعه من استعداد للعمل الشاق... هذه اللحظة ترتسم فى خياله كامل النهار يستمد منها نفثة اشراق ونفحة أمل ...

أليس هو الذى أصر أن يذهب محمد الى المدرسة عندما بلغ سنه القانونى، ورفض نصائح الام والاعمام الذين اوصوا بأن يتدرب محمد على مهنة الرعاة ليساعد والده المتعب على أخذ الشياه الى (الحدود) .

أليس هو الذى باع خروفين فى خريف العام الماضى ليشترى لمحمد لباسا لائقا من سوق القرية وحذاء أسود ومحفظة حمراء وكراسا على غلافه صورة ريشة وجدول الضرب وكتاب اقرأ وأقلاما كثيرة ملونة ...

لقد حرم هو من نعمة العلم ، ولم يفده التدارك حيث جلس فى مدرسة القرية بعد الاستقلال ليكون من كهول رفع الامية ، فلم ترتفع عنه الامية لانه لم يثابر لكنه تعلم ان (العلم نور) وعرف ان المستقبل صعب تستحيل مواجهته بامكانيات بسيطة وأيقن ان لا حياة لمحمد خارج (العلم) ، فربما يصبح طبيبا أو معتمدا أو حاكما أو مهندسا .

ففرحات عاش كل طفولته وشبابه وكهولته تحت الاستعمار ، وعرف ظهره سياط المعمر المسيو لاترون ، منذ ان كان يساعد أباه الخماس فى هنشير ذلك (الرومى) الاصلع وهو ما يزال يذكر لسع السوط ويذكر عينى المعمر الحمراوين ويذكر صبر أبيه على الظلم ونصيب عائلته من حصاد الهنشير كل موسم صيف . وتعلم فرحات ان تلك الارض الخصبة الواسعة التى رتع فيها كالارنب الصغير هى على ملك المسيو لاترون بسهولها المنبسطة الخضراء وآبارها ذات المياه الحية الدافقة وأشجارها الرائعة المثمرة . وتعلم ان عائلته كلها لا تملك سوى ذلك البيت الصغير الذى بنى من الطوب الجاف وتلك العنز العجفاء التى تمنحهم حليبها كل مطلع شمس .

ومع الايام ، بعد ما ثار الشعب ، اختفى المسيو لاترون وسوطه الى الابد ، وتبدلت الساقية وتأسست المدرسة وعرف فرحات مع كل من سكن هذه المنطقة قسوة الحرب التحريرية وعناد (عسكر فرنسا) حينما يضربون بقوة وعنف لاخماد صوت الثورة وكبت أصوات التونسيين والجزائريين الذين تحركهم نفس الدوافع وتشتعل فى صدورهم نفس النار المقدسة .

....

أشياء كثيرة تغيرت منذ أسبوع فى حياة فرحات .

لقد تجاوزت أصداء الثورة الجزائرية ما كان يبلغ سمعه من الاذاعة وهى تبث صوت الجزائر وتستعرض بطولة ذلك الشعب وعسف المستعمر ، وتجاوزت أصداؤها ما كان يستقيه من أفواه المجاهدين الذين يخترقون الحدود نحو تونس ليتلقوا المعونة والتغذية والسلاح والدواء استعدادا لكمين جديد .

أصبحت حرب الجزائر قريبة جدا منه ، بل فى لحمه ودمه وفى جدران بيته الصغير حيث أمسى طلق المدفعية الثقيلة ودوى القنابل على مقربة من الساقية، وقرأ فى عينى طفله محمد علامات الخوف والتساؤل فحاول ان يشرح له اللغز .

اما الشياه التسعة فلم تعد تغادر ربوة الساقية ، فالجنود الفرنسيون اقاموا فى الحدود اسلاكا شائكة مكهربة تبث حولها الموت والدمار ...

أشياء كثيرة تغيرت أشياء تنذر بالويل . والطفل دائم اللهو ، مستمر فى لهوه ، وفرحات يتابع كل مساء تلك الكلمات التى يقرؤها محمد من كتابه حول طاعة الوالدين وحب الوطن وتلاوة الاعداد الحسابية .

تحدث بعض القادمين من مناطق الحدود ان حاجز الاسلاك المكهربة يمتد على أميال . وان رشاشات العدو توجه لكل من يقترب منه وان بعض المواشى صرعت بالطاقة المبثوثة فى الاسلاك . فالمستعمر الذى اذهلته قوى التحرير الجزائرية أصبح أكثر عسفا وأصبح يضرب بدون رحمة . وانصب جنونه على منطقة الحدود من حيث يأتى المدد والى حيث يلجأ المجاهدون ... وقرية الساقية هى الاقرب وهى المعرضة أكثر لما أعلن عنه من (حق تتبع الارهابيين والفلاقة).

....

(الارهابيون والفلاقة) فرحات يعرفهم جيدا ، فطالما اقتسم معهم لبن الماعز وكسرة القمح ، وطالما تحدثوا اليه عن الاوراس وبطولات الولاية الخامسة واستشهاد رفاقهم ومعركة باب الواد واستنطاق جميلة بوحيرد ... طالما تدفأ فى ليالى الشتاء القاسية على لهب ذكرياتهم وطالما أسر لابنه محمد بما يقال عن حرب التحرير فى شكل ملاحم صغيرة يرويها للطفل الذى يتشربها بخياله الغض كما يفعل ازاء خرافات الابطال والاغوال والاهوال . وكثيرا ما كان يجيب عن تساؤلات محمد حول (الفرنسيس) وأين تقع بلادهم ولماذا جاؤوا الى تونس والجزائر ، يجيب بما سمعه من الاجتماعات والمظاهرات الشعبية المنادية بالجلاء ، فقد شارك هو نفسه فى بعضها وساهم فى اقامة السدود ، والحواجز أمام قوافل الجيش الدخيل وامتثل لتعليمات الزعماء .

....

البرد قارس جاف والشتاء صعب عنيد . شهر فيفرى بدأ يجثو بظله القاتم على الساقية . أصبحت خطوات الناس أثقل من ذى قبل بسبب الصقيع وتراءت على اطراف القرية بوادر جليد . التف الاطفال أكثر فأكثر بالبرانيس البيضاء

والدكنـاء . أصبحوا كالخرفان الصغيرة فى ادثرة الصوف ، ضحكاتهم خفتت ونظراتهم وحدها تتطلع للطريق الحجرية المؤدية الى المدرسة .

نهض فرحات وفرك عينيه ، صاح الديك ، تحركت الأم فى فراشها وقفـز محمد خارج الفراش ، اطفأ الأب فتيل الزيت وأزاح الستار على النافذة .

ـ اليوم بارد ....

قال محمد وهو يتمطى كالقط المتعب :

ـ عندنا اليوم درس حساب .

ومضى يجمع أوراقه وأقلامه وأعواده الخشبية الملـونة وطبـاشيره الابيض . ناولته الأم قطعة خبز شعير مغمسـة فى الـزيت وتمتمت بعض الاوراد التى حفظتها من عجائز القرية وانطلق محمد يقضم كسرته وهو يتأبط محفظته نحو المـدرسة .

قامت الأم نحو العنز تحلبها وتدثر فرحات وخرج وهو يقول :

ـ اعدى لنا الكسكسى .... يا امرأة ، فلن يسد الرمق ولن يـدفىء الاحشـاء سواه فى هذا القر .

....

السحاب متقطع فى أشكال رهيبة خرافية يعبر الفضاء ، والمدرسة كخليـة النمل حركة ودأبا وضوضاء ... الريح شمالية باردة لها عبر الاشجار العالية أنين مبحوح . الصفارة تعلن الدخول الى الفصول والساقية استعدت لاستقبال سوقها . انتصبت السلع ونادى الباعة وفى البيت استوت أوعية الكسكسى على جمر الكانون وتصاعد بخارها الفواح .

الحياة تدور دورتها العادية وليس هناك ما ينذر بالويل ...

....

ـ اخرجوا الواحكم سنبدأ درس الحساب ...

صوت المعلم كما عهده الصبية منذ أشهر ، فيه أمر وديع وحـزم جليـل . صوت ذو نغمة تستجيب له الايدى الصغيرة بحركة واحدة تحـدث جلبـة .

يفتحون محافظهم وهى من الجلد أو من السمار أو من الحيش ، تدخل الاصابع السمراء الرقيقة فى المحافظ وتسحب الالواح والطباشير بينما يكتب المعلم بخطه الانيق :

عملية الجمع .

ويتواصل الدرس ، ويطل على التلاميذ عصفور مقرور طاردته الريح الباردة فالتجأ الى شباك الفصل وارتطم بالزجاج ، استحوذ الطير على التفاتة جماعية سريعة وواصل رحلته نحو المجهول . ومضت الاصابع الملائكية تخط على الالواح

I - 2 - 3 - 4 - 5 - 6 - 7 - 8

....

لحظة ما بين رقم ورقم ، لحظة كالأبد ، الأزيز الرهيب يشق الفضاء والسوق ترتج . يهرول الباعة والناس الى الساحة ومنها يتفرقون أشتاتا نحو اتجاهات عديدة . جدران المدرسة تصطك والعيون الوديعة تزيغ بحثا عن مصدر الصوت.

انفجار وانفجار ... جحيم أحمر يصاعد لظاه وانهيار وانهيار وانهيار . التراب اللحم الاخشاب الحديد النار الدوحة تجتث من جذورها والصياح والرعب والاشياء والجوامد والاحياء تمتزج وتتحد فى عنصر واحد فى لحظة واحدة كانها الابد .

الأزيز يعنف ويقوى واللهب يتصاعد الى السماء والسماء تتشح بلون الفولاذ والدم ....

الساقية هشيم .

....

كل ذلك جرى فى كابوس بين الرقم والرقم ، وعندما جاؤوا من بعد لانقاذ ما تبقى من القرية ، رأى فرحات جثمان ابنه محمد ، وهو ما يزال يقبض بطباشيره فى حركة اصرار كانت هى الاخيرة وما تزال اللوحة ملقاة الى جانبه وقد خطت عليها يده قبل ان يموت بقنابلهم : 3 + 5 = 8 .

8 فيفرى 1958

لم يكن فرحات يفهم قبل هذا اليوم ما معنى ان يصاب الانسان فى دمه ولحمه ولم يكن يدرى ان الارض يمكن ان تغير وجهة دورانها وان الخوف يمكن ان يتبدد بسرعة هكذا وان الانسان البسيط باستطاعته ان يتحول الى مارد عملاق فى لحظة واحدة ...

عندما تأمل جسد ابنه الغض معفرا بالتراب ... ومنذ يوم 8 فيفرى 1958 ... لم يفكر فرحات الا فى الثأر ، وما زال الناس فى الساقية الى اليوم يروون نبأ ارتحاله الى الجزائر وقد كانت تقاتل بجبالها ومدنها وانهارها واشجارها .

....

الاشراقات

شعر : رامبو
تعريب : محسن بن حميدة

8. رحيـــــل (*)

كفى ما رأيت
لقد اتفقت الرؤية وكل الأهواء
كفى ما حصلت
من ضجيج المدن ليلا وفى الشمس
دائمـا
كفى ما عرفت
أحكام الحياة
يا أيها الضجيج وأيتها الرؤى
الرحيل فى الود والدوى الجديدين

★ ★ ★

9. ملكيـــــة

فى صباح جميل
عند شعب لطيف لطيف
رجل وآمرأة رائعان
كانا فى الميدان العام يصيحان
هو : يا صحابى أريد أن تكون ملكة
هى : إنى أريد أن أكون ملكة
كانت تضحك

(*) تابع لما نشر فى مجلة « الفكر » العدد 7 من سنة 23 .

وترتعد
كان يحدث أصحابه عن الايحاء
والمحنة المنتهية

وكانا الى الغشيان يستسلمان
متلاصقين
فلقد كانا ملكين
صبيحة كاملة
حيث ارتفعت عن الدور الستارات القرمزية
وطيلة ما بعد الزوال كله
حيث انطلقا الى ناحية حدائق النخيل

* * *

10. إلى عقبل

نقرة من اصبعك على الطبل
تفجر جميع الأصوات
فتنطلق الهرمونية الجديدة
خطوة منك
لهي نهضة الرجال الجدد
ومسيرتهم

إن أعرضت فحب جديد
وإن أقبلت فحب جديد
يغنى لك الاطفال :

أبدل نصيبنا
بدد ويلاتنا
بادئا بالزمان

ونتوسل إليك أن

ارفع أينما تريد
مادة أرزاقنا
وتمنياتنا

أنت الآتى من الأزل
والمنطلق الى كل مكان

* * *

11. صبيحة نشوة

يا خيرى يا جمالى
جوقة فظيعة
حيث لا اعثر أبدا
وحامل سمرى

مرحى
للأثر الغريب
والجسم العجيب
للمرة الأولى

لقد بدأ ذلك فى ضحكات الأطفال
وسينتهى بها
وسيبقى ذلك السم فى كل عروقنا
حتى عندما نعاد الى اللاهرمونية القديمة
وقد انقلبت الجوقة
أما الآن نحن الجديرين بتلك التعاذيب
فانا نجمع فى ورع
ذلك الوعد الفائق لقدرة البشر
الموعود لأجسامنا وأرواحنا المخلوفة
ذلك الوعد ذلك الخبل
الأناقة . العلم . العنف
لقد وعدونا بدفن شجرة الخير والشر
فى غياهب الظل
بنفى النزاهات الجبارة

لنأتى بحبنا الصرف
لقد بدأ ذلك ببعض التقزز
ولعدم تمكننا فى الحال من الأبدية
انتهى بفوضى تبدد الرياحين
يا ضحك الأطفال ويا تكتم العبيد
يا تقشف العذارى
ويا هلع الصور والأشياء هنا
لتقدسكم ذكرى هذه السهرة
لقد بدأ ذلك بكل الفظظة
وها هو ينتهى بملائكة من اللهب والثلج
أيا سهيرة من نشوة مقدسة
ولو لم يكن ذلك إلا من أجل
القناع الذى منحتنا إياه
أيا منهجا نحن نثبتك
ولا ننسى أنك مجدت أمس
كل عمر من أعمارنا

إننا نؤمن بالسم
ونعرف كيف نهب حياتنا كلها
كل يوم
هذا زمن القتلة

* * *

12. جمل

عندما تنحصر الدنيا فى غاب واحد أقتم
لأعيننا الأربع المندهشة
وفى شاطىء لطفلين أمينين
وفى منزل موسيقى لتعاطفنا الوضىء

سألقاكـم

إن لم يكن فى الدنيا

سـوى

شيخ وحيد هادىء جميل

محفوف ببذخ غريب

أركـع لكـم

إن أكن حققت كل ذكرياتكم

إن أكن من تحسن تقييدكم

أخنقكـم

إذا كنا جميعا فى غاية الشدة

فمن الذى يتأخر

وإذا كنا فى غاية المرح

فمن الذى يخر سخرية

وإذا كنا فى غاية الحبث

فما سيصنع بنا

تزينوا وارقصوا واضحكوا

فلن أقدر أبدا على رمى الحب

عرض الحائط

رفيقتى متسولة طفلة ممسوخة

لا تهمك أولائك المسكينات

ولا أولائك العاملات البسيطات

ولا تهمك ارتباكاتى

فتعلق بنا بصوتك المستحيل

صوتك المتملق الوحيد لذلك اليأس الدنىء

صبيحة تغشاها الغيوم فى يوليه

طعم رماد يتطاير فى الهواء

رائحة حطب تقطر فى الموقد

الأزهار مغموسة فى الماء
والنزهات مخربة
ورذاذ القنوات عبر الحقول
فلم لم تحن بعد اللعب والبخور
لقد مددت حبالا بين أجراس الأبراج
وأشرطة زهور بين النوافذ
وسلاسل ذهب بين النجوم
وأنا أرقص
الخليج العالى يصعد الدخان بلا انقطاع
فأية ساحرة
ستستوى على المغيب الأبيض
وأية إبراقات بنفسجية ستنزل
وبينما تسيل الأموال العامة
فى أعياد أخوة
يرن جرس نار وردية
على السحب
وعلى سهراتى
تمطر فى لهن غبرة سوداء
مثيرة طعم حبر صينى لذيذ
فأخفض أنوار الثريا
وأرتمى على السرير
وألتفت الى ناحية الظل
فأراكم يا بناتى
يـا ملكـاتى

* * *

13. عـمـّـــال

يا لصبيحة فبراير الحارة تلك
لقد أتى الجنوب فى غير أوانه

فأبرز ذكرياتنا نحن المعوزين اللامعقولين
بؤسنا الحديث
كان لأنريكا أسفلية قطنية
ذات مربعات بيضاء ودكناء
قد تكون ارتديت في القرن الماضي
وقبعة مزدانة بالأشرطة
ولفاع حريرى
لقد كان حزن أشد من الحداد

كنا نتجول فى الضاحية
كان الجو مغيما
وكانت ريح الجنوب تلك
تثير جميع الروائح الكريهة
المنبعثة من الجنان المخربة
والمروج اليابسة
ما كان ذلك ليتعب زوجتى
مثلما كان يتعبنى
فلقد نبهتنى لمشاهدة سمكات صغيرة جدا
فى غدير صغير تركته فيضانات
الشهر الماضى فى مسلك عال
وكانت المدينة بدخانها وضجيج أنوالها
تتبعنا بعيدا فى الدروب
نعم الآخرة
الدار التى باركتها السماء والظلال
كانت الجنوب تذكرنى طفولتى أحداثها التعيسة
ويئاساتى فى الصيف
والمقدار الفظيع من القوة والعلم
الذى حرمنى منه الحظ دائما
لا لن نقضى الصيف فى ذلك البلد الضنين

الذى لن نكون فيه إلا خطيبين يتيمين
أريد من ذلك الساعد المصلب
أن يمسك عن جر
صورة عزيزة على

* * *

14. الجســــور

سماوات رمادية من صافى البلور
رسم غريب لجسور
هذه مستقيمة وتلك مقوسة
وأخرى نازلة على الاولى منحرفة فى زوايا
وتلك الصور متجددة
فى الدارات الأخرى للقناة المضاءة
ولكنها جميعها طويلة وخفيفة الى حد
أن الضفاف المحملة قبابا
تهوى وتتضاءل

لا تزال بعض تلك الجسور حاملة
لمساكن حقيرة
وأخرى لقلاع وإشارات ودرابزين هزيلة
تتشابك ائتلافات صغرى وتنطلق
تصعد من الضفاف حبال
أتبين سترة حمراء
ولربما بدلات أخرى وآلات موسيقية
فهل هى أنغام شعبية
أو قطع حفلات للاسياد
أو بقايا أناشيد عامة
الماء أربد وأزرق فى سعة الخليج
شعاع أبيض نازل من عنان السماء
يبيد تلك المهزلة

* * *

15. مـــديـنـــة

أنا ابن زائل
ومواطن غير غاضب كثيرا
لبلد أم خام عصرى
لأن كل ذوق قد أهمل
فى التأثيثات ومظاهر الدور الخارجية
مثلما أهمل فى تخطيط المدينة

فهنـــا

قد لاتلاحظون أى أثر لنصب للطيرة
فالاخلاق واللغة قد وقع أخيرا
اختصارها الى أقصى حد
فهؤلاء الملايين من الناس الذين
لا حاجة لهم بالتعارف يسوقون
التربية والمهنة والشخوخة

على وتيرة مماثلة الى حد
أن ذلك المجرى للحياة لا بد
أن يكون مرارا أقل طولا مما تكشفه
إحصائية مجنونة لشعوب القارة
وكما أنى أرى من نافذتى أشباحا جديدة
تتمرغ فى دخان الفحم الكثيف الأبدى
صورة ظلال غاباتنا وليل صيفنا
أرى مقتصات جحيم جديدات
منتصبات أمام بيتى الريفى
الذى هو وطنى وكل قلبى
إذ أن كل شىء هنا

يشبه هذا
الموت بلا دموع
بنتنا النشيطة وخادمتنا
حب يائس
وجريمة بديعة تعوى
فى وحل الشارع

رسالة مفتوحة إلى « عنبر »

قصة البشير الكمودي

كلبـي العزيز ..

اكتب اليك هذه الرسالة المفتوحة .. أولا .. لانى لا أعرف عنوانك بالضبط..

وثانيا .. لاننى أحب ان يقرأ هذه الكلمات كل كلاب العالم .. لعل ذلك يخفف من الجرم الذى ارتكبته نحوك .. فى تهور واستخفاف ولا وعى !..

اعرف ان فترة علاقتنا كانت قصيرة .. لكن الصداقة التى جمعت بيننا مدة ساعات .. كانت من اجمل الاشياء فى حياتى ..

ذلك المساء الجميل الذى تم فيه لقاؤنا .. مازلت أذكره ..

كنت جالسا فى حديقة أبى بالسعيدية .. أنعم بشىء من الوحدة والهدوء .. فجاءنى أخى هشام وعرضك على قائلا :

ــ سيدى .. أما قلت تحب كلبا !؟!

أذكر اننى سألته آنذاك :

ــ أين وجدته ؟

فأخبرنى ان أحد اصدقائه الصغار يريد بيعك بسبعين مليما .. فرحت بك فرحا كبيرا .. لا لأن ثمنك زهيد جدا .. بل لان النظرات التى كنت ترمقنى بها ــ وأنت بين يدى هشام ــ اخبرنى بعدة اشياء .

أدخلت يدى فى جيبى واخرجت النقود .. ثم اعطيت هشاما مائة مليم :

ــ خذ .. اعط سبعين مليما لصديقك .. واشتر بالبقية « كورنو كريمة ».

واخذتك بين احضاني في رفق .. فاحسست وأنا أمسح على جسدك بسعادة لا توصف ..

أظن انك لم تبلغ آنذاك الشهر الاول من عمرك .. كنت جميلا حقا بلونك الاسود اللامع ونقطة البياض على رقبتك وصدرك الصغير ..

سألتك مازحا وقتئذ :

ـ ألم تتعلم بعد ان تلبس حذاء ؟ اذن من ألبسك الحذاء الابيض فى يديك عوضا عن رجليك ؟ لم تجبنى .. واكتفيت بلحس يدى ومحاولة العبث برباط عنقى ..

وضعتك على الارض .. فأخذت تلهو وتلعب ككل الصغار .. هكذا فى سذاجة وبراءة . لم أخش أبدا هروبك . كان هناك شعور عميق فى قلبى يقول لى : إنك سوف لن تتركنى وتذهب .. فقد كانت صداقتنا من أول وهلة .. وحبنا لبعضنا بعضا .. تفجر فى قلبينا كالصاعقة .. بالضبط .. كما يحدث عادة عند المحبين !

ذهبت لأقدمك للجميع ، وانت تتبعنى فى غبطة عارمة .. تارة تسبقنى .. وتارة تحاول القفز على ركبتى ..

وعندما دخلنا .. وجدنا العائلة مجتمعة فى قاعة الجلوس تشاهد عرضا تلفزيا ..

اذكر ان كل الانظار قد التفتت نحوك .. فكانت التعليقات المختلفة ..

قال أبى : آش نوا هذا .. منين ؟

قالت أمى : ماحلاه .. ماحلاه .. منين ها الكليب .. يشره ..

قالت أختى : ووو .. ما بنو .. ما بنو ..

ولم تقل زوجتى آنذاك شيئا ! بل اكتفت بالقاء نظرة تافهة عليك .. ثم واصلت مشاهدتها لمغامرات الاقزام فى « بلاد العمالقة » ..

لقد تألمت من ذلك كثيرا .. لاننى كنت اريد معرفة رأيها فيك .. فسألتها :

ـ « زيا » .. ما رأيك ؟

ـ فاش ؟..

ـ فى الكلب ...

ألقت عليك مرة أخرى نظرة بلا معنى ثم قالت فى لهجة احتقار :

ـ باهى .. آش باش نقلك !..

ـ آش بيه .. ما عجبكش ؟

ـ بالله .. فين باش نحطوه ؟

لم أحاول أن أجيب زوجتى لان لهجتها لم تعجبنى ولاننى لا أحب الخصام أمام والدى .. فاكتفيت بالصمت وخرجت معك ثانية الى الحديقة !..

عرفت من نظراتك انك تلومنى لاننى لم ادافع عنك .. ولكن .. صدقنى يا عزيزى اذا قلت لك انه لو فعلت ذلك لانقسم الجمع الى شقين متقابلين .. شق معك وشق ضدك .. وبذلك يتصاعد تيار الخلاف ..

.. وجلسنا فى مكاننا الاول .. اداعبك .. ورأسى كالدوامة الضائعة ..

ـ ماذا تريد يا صديقى .. هكذا خلقت نساؤنا تحب وتكره بلا قيد زمنى ولا شرط مكانى .. تصور .. لو اننى وقفت ضدها فى أمر ترغب فيه .. لأقامت الدنيا وأقعدتها بكاء وعويلا .. حتى أرضخ !

يؤسفنى جدا انها أغلقت فى وجهك الجميل قلبها القاسى .. فلا تغضب .. واعلم ان قلبى مفتوح على مصراعيه أمامك .. فادخله آمنا مطمئنا ولتعلم اننى سأبنى لك بيتا دافئا فى حديقتنا وسأقدم لك غذاء لذيذا .

ـ قبل كل شيء .. ماذا تريد أن أسميك ؟ فوكس ؟ ريكس ؟ عنبر ؟ سأدعوك عنبر .. اسم جميل يتماشى ولونك واناقتك ونظراتك السحرية ..

كانت الساعة تشير الى السادسة والنصف عندما قطعت علينا « زينا » حبل وئامنا قائلة :

ـ هيا مازلت قاعد ؟

ـ آش نوا .. مروحين ؟

ـ وقيت .. السبعة عدها .. وانا مازال عندى ما نعمل غادى .

نهضت وانت تتبعنى .. ودخلنا « الفيلا » لتوديع العائلة ثم خرجنا والفرحة بادية على وجهينا ..

بينما سارت زوجتى وحيدة فى صمت !

الخيبة التى عشتها فى ذلك المساء .. مازلت اذكرها ايضا . لقد حاولت ان تداعب زوجتى وتطلب منها فى تسول بعض العطف والدفء .. فأخذت تلحس رجليها اثناء السير .. فما كان منها الا ان ضربتك بقدمها على صدرك الصغير فأخذت تعوى عواء مؤلما حزينا ..

ـ أعو ولا زمر .. ولايلحس .. بقلة ..

وواصلنا السير فى صمت .. أصبحت بعيدا عنها .. قريبا منى !

اجتزنا المسافة الفاصلة بين المنزل والمحطة حيث وقفنا صامتين دقائق طويلة .

قالت زوجتى تسألنى فى بلاهة :

ـ باش ناخذو الكار ياخى ؟

ـ طبعا . مادام اصحاب التاكسيات كيفك ما يحبوش الكلاب .

ـ والخلاص .. زعما يقبل كلب فى الكار ؟

ـ تقدم انت وخلص .. وانا توا نخبيه تحت ضبوطى .

ـ ملا فكرة ؟!

وعدنا الى صمتنا الثقيل .. الى ان أتت الحافلة فصعدنا .. وتم كل شىء على احسن ما يرام .. فلم يتفطن (الخلاص) اليك ولم تفعل ما من شأنه ان يلفت اليك الانظار ويثير نقمة بعض الفضوليين العنصريين .. الى ان وصلنا الحى فنزلنا وواصلنا السير على الاقدام حتى المنزل ..

فتحت الباب ودخلنا .. ورأيتك تتجول فى أرجاء البيت للتعرف على غرفه وممراته وزواياه ..

ولما نزعت ثيابى ولبست مناماتى جئت لتجلس تحت قدمى فى قاعة الجلوس تنظر الى تارة والى جهاز التلفزة تارة اخرى .. بينما واصلت زوجتى فى شىء من المبالغة اعمالها الترتيبية دون ان تنبس ببنت شفة ..

اذكر انني قلت لها آنذاك وقد احسست بالدم يثور في عروقي :

ــ بالله قلي .. علاش ما تحبش الشيء الى نحبو انا ؟

ــ ما لقيت تحب كان الكلاب ؟ آش فيه ما يصلح ؟ كان على السراق .. ماعندنا ما يسرقوا .

ــ وهو الكلب ما يصلح كان للعسة ؟

ــ ما يصلح حتى لشيء .

ــ عجايب ؟

ثرت في داخلي على ما صدر منها . ثرت على أوامرها الساقطة علــى رأسينا كصواعق الظلم ولم أتكلم ، لان الكلام مع من لا يفهم ينقص من العمر.

ونظرت اليك ، فاذا بك مثلي في منتهى البؤس . اعرف انك تفهم جيدا كل ما يحدث من سخافات في دنيا البشر وان كنت لا تحسن التعبير .. واعرف

ــ اسمع .. غير تلهى بيه انت .. وشوفلو بقعة بعيدة حطــو فيهــا .. مــا نحبوش مسيب ينجس الماعون ويهلك الدنيا .. أنا الكلاب نموت منهم .

ايضا انك عشت موقفي آنذاك وشعرت في قرارة نفسك انه من الاحسن عليك ان تذهب الى مكان آخر .. فكرامتك قبل الخبز والماء وحبي لك وحده لا يكفي لادخال السعادة الكاملة الى قلبك الكبير . رأيتك تنهض وتسير نحو الباب ، فوقفت وتبعتك .. ولما وصلت الى العتبة فهمت ما تريده .. ففتحــت البــاب امامك وخرجت معك الى الشارع .

كانت الساعة تشير الى الثامنة والنصف ليلا عندما سرنا على الرصيف وحيدين .. وحيدين .. الا من حبنا الحزين ..

توقفت عن المسير ثم رفعت عينيك نحوي .. فانحنيت واخذتك بين أحضاني ومسحت على رأسك وشعرك أطلب الغفران .. اذكر انني قلت لك .

ــ قررت الذهاب اذن ؟

فنظرت في عمق عيني طويلا وسمعت لك عواء خافتا حزينا .. ففهمت انك تبكي في صمت !

صعب على إن اتركك تذهب وحيدا فى سفر مجهول .. وفى مثـل تلـك الساعة السوداء كنت أريد أن اطمئن عليك على الاقل .. الى ان ســاق الينـا القدر طفلا كان مارا امامنا .. ناديته فأتى ليقف أمامك مشدوها معجبا بجمالك ووداعتك قال يسألنى :

ـ متاعك الكلب ؟

ـ إي .. نعم

ـ ما احــلاه ..

ـ أعجبـك ؟

ـ ياسر عجبنــي ..

ـ تحبش تاخذوا ؟..

ـ ماذا بيـا .

ـ لكن على شرط .

ـ آش نـوا ..

ـ تتلهى بيه مليح مليح .. وتجيبهولي ساعات نشوفو .. وين تسكن ؟

ـ آنا ولد عمك ناجى .. نسكن بحذاك .. ياخي ما تعرفنيش ..

ـ آه .. باهي باهي .. كيف هكة .. خوذ .. آما .. كيما وصيتك ..

ـ كون متهنى .. بارك الله فيك .. تصبح على خير ..

ـ تصبح على خير ..

وذهب بك الصبى يقفز كأرنب صغير .. بينما بقيـت أنـا علـى رصيـف الوحدة يهدنى حزن عميق واشواك الخيانة تمزق عروقى فى قسوة .

أفقت من شرودى عندما نادتنى زوجتى وطلبت منى الدخول . فتحركـت فى تثاقل .. واجتزت العتبة ثم اغلقت الباب وعدت الى مكانى جسما بلا روح.

انتهت زوجتى من ترتيباتها .. فجاءت لتجلس قربى وتسألنى :

ـ يا خي فينو ..؟

ـ آش كون زادة ؟

ـ الكلب يا غلبـة ..

ـ آما كلب ؟

وفهمت ما اقصد .. وخافت اندلاع ثورتي العاصفة .. فلاذت بالصمت .. فاعلنت بدوري اضراب الصمت لمدة طويلة .. حاولت اثناءها البحث عنـك فقيل لي انك سافرت الى الشمال مع فلاح أحبك من أول نظرة فأراد أن تكون حارسا لاغنامه ..

لكن .. اى طريق اسلك للوصول الى الشمال والالتقاء بك ؟

ومع مرور ايام الفراق ..

عرفت ان الوصول اليك اصبح ضربا من المستحيل .. فرضيت بمأساتـي وقررت مراسلتك .. علك تعود الى يوما أو علنا نلتقى في ساعة سعيدة .

فسامحني واعلم انني في منتهى الحزن !..

صديقـك المخلـص :

البشير التلموذى

جهود في النقد الادبي النظري والتطبيقي

◆ تحت هذا العنوان نشرنا في العدد الخامس من مجلة « الفكر » فيفري 78 دراسة باسم أحمد حمروني .. بيد أن الاسم الصحيح هو : الطاهـر حمروني الاستاذ بمعهد اللغة والآداب العربية بالجزائـر .

قمصان وهّاجة

شعر : عبد القادر شرودة

سيدتى ، اضطربى
انبعثى
انعتقى
سيدتى ، احترقى
وسيبقى رماد الأجيال
جبلا مشحونا نارا ،،،،
وستنسين وأنسى ،، وثنية هذا التمثال ،

●

وسأخرج وحدى
وليسمع كل العالم ،،، صلصلة الأغلال ،،

●

وسأفزع وحدى ،
كالنهر الراغب فى الطمى الراحل بالأهوال ،،

●

وسنكتب أحلى الأشعار
بالماء الثجاج على الصلصال .

●

قرطاج ،، أحبك ،، فاحترقى
ثم انبثقى
ثم احترقى ثانية ،،، ولتكن الأجيال ،،

●

ما أروع أن تنبثق الرايات من الأطلال !!

●

ما أروع أن ينبثق الحى من الميت ، فى أفظع لحظات الاهمال !!

●

ما أروع صدع الكلمات على شفتى ، صدع الأرض المأخوذة بالزلزال؟؟

●

كائنة أنت ،،، وتبقى ،،
كينونة هذى الأفعال ،،

●

فى أى قواميس الشعر ؟ وفى أى سؤال ؟

●

فى أية مركبة ؟ فى أى خيال ؟

●

أبحث ، أستقرىء كل الأرحام الحبلى
كل الأدغال ،
حبات الرمل ، وغرغرة الشلال ،،

●

أقتطف الميم المرة
والراء الراء من الأغوار
أختطف الراء النارية من وجدان النار ،،
أغتصب الراء الجبارة من قبضة إعصار ،،
سيدتى ،،، عيناى استخبار
وجهى استنكار

شفتي استمرار ،،،
مطر مدرار ،،،،

●

قرطاج أحبك ،،،، تنبجس الأنهار
يتبرعم شجر الاصرار
فالأرض كتاب مفتوح والحبر الأبحار ،،

●

ماذا ؟ ،،، بعد ،، ؟؟
شجر يتبرعم ؟ أم وعد ؟؟
جمجمة تتوقد ؟
أم صلصلة ؟
أم رعد ؟
أم بحر يتحفز ، يأخذه المد ؟
أم يأخذه الوجد ؟
ماذا ؟ ماذا ؟ بعد ؟..
لن يتسع الكون لهذا الطمي ،، فكيف الوأد ؟

●

من أنت ؟ — سميح
— لوركا ،،، عصفور فى النهر ذبيح
— نيرودا ،،، مطر محمول فى طبق الريح
— مورا ،،، شجر التسبيح
جئناك ، نحبك ،،، قرطاجه
كل يخفي تحت القمصان سراجه
هل تخفين ؟
وهل تخفى القمصان الوهاجه ؟؟

●

هذا البرق الحمرى على شفتى ،، صدع
ردع للـردع
لن تسقط جمجمتى آنية للشرب على نطع

وأنا في حبك نجم يتشظى
في حبك نجم ذو ومض
ذو رجـع
أنبئني بالسبع ،،،،

●

يحكى عن مجلس حزن في ربوه
تنهمر الكلمات الزرقاء على أجنحة الصبوه
جـزرا
بحـرا
ريحـا
وخطاطيف ،،
وقرطاج هنالك عارية ،،، جذوه ،،
هل أعرى من جذوه ؟؟
من أنت ؟! ـ أبو القاسم
ـ خنجر عليسة ،، يقطع نهدا
تسقط في النار تمائم
ومعاصم
ـ سنبلة في النار ، بحبات الذهب المصهور تقاوم ،،

●

مـاذا من بعـد ؟ ومـاذا من قبـل ؟
فلـك تتـربص ؟ أم مطـر وبـل ؟
نورسة شاعـرة تتنبـأ ؟ أم حقـل ؟
برق خمرى يتوهج؟ أم سيف يستل؟

●

جئناك ،، نحبك ،، قرطاجه
كل يخفى تحت القمصان سراجه
هل تخفين ؟
وهل تخفى القمصان الوهاجه ؟؟؟،،

الشمس لمن يقطفها..

مسرحية : وحيد الخضراوي

● **الطور الثاني (*)**

● **(المشهد الاول)**

نسمع من خلف الركح قهقهة امرأة تدخل زينب جارية **يلاحقها ضرغام ،** تحاول الافلات منه بغنج .

زينب : (مواصلة حديثا سابقا) وماذا تملك عدا شاربيك الجميلين وسيفك اللماع ؟

ضرغام : (ملاحقا اياها بلطف) لى ضيعة فى الشمال من اخصب ضيعات البلاد ...

زينب : ولك بطبيعة الحال فى الضيعة ماشية ؟ ..

ضرغام : ليس بالشيء الكثير .. ثلاثة آلاف رأس غنم فقط ..

زينب : آه .. انت اذن فلاح .. ؟

ضرغام : انا .. ؟ وانما اهدانيها سيدنا الباى ..

زينب : بعد ان افتكها بطبيعة الحال من احد العروش الثائرة ..

ضرغام : بل قولى هو عش من النمل لا يكاد يفارق ذكرهم انشاهم .. تحصد راسا فينبت الف رأس ورأس .. اصبح هذا العرش كالذبابة التى تنخر الرأس وتقض المضاجع ..

(*) تابع لما نشر بمجلة « الفكر » ، العدد : 8 ، السنة : 23 .

زينب : فهجمت عليهم بعسكرك وهم نيام واعلمتم فيهم سيوفكم وخناجركم وعدتم غانمين فقربوك من الحضرة العلية .. واثقلوا صدرك بالنياشين .. شيء جميل !

ضرغام : (مفاخرا) انا فى خدمة سيدنا منذ نعومة اظافرى .. وانتسبت الى عائلة توارثت خدمة اولاد حسين أبا عن جد ..

زينب : «والله ينصر من صبح» .. وهكذا دواليك : رأس يرفع ورأس يطير.

ضرغام : تلك هى قاعدة المهنة (يضحك تجاريه زينب) .

زينب : وما هذه الخدوش التى على خدك يا ...

ضرغام : المتيم بك ضرغام ..

زينب : يا ضرغام .. هل تكون آثار اظافر ناعمة ..

ضرغام : اوه .. هل انت غيرى .. ؟

زينب : (مواصلة اللعبة) انى اكاد اتقد غيرة من هذه المرأة الحمقاء التى منعت نفسها عن هذا العسكرى الهمام الذائد عن البلاد الصائن لشرفها المتصدى لكل دخيل !

ضرغام : (فى تواضع مصطنع) اوه .. عفوا .. عفوا .. ذلك هو واجبى (يقترب منها) دعينى أسر اليك بانك المرأة الوحيدة التى تملك شغاف قلبى فاصبح بين يديها كالحمل الوديع .. انى لك يا ظبيتى الشاردة ..

(يندفع نحوها)

زينب : (توقف اللعبة بحركة من يديها) لا حاجة بى اليك فانت لا تساوى قيمة حذائك .. (يضع ضرغام يده على مقبض سيفه) لا توهم نفسك بالرجولة فات الان اوانها .. (تبتعد عنه) لست الان امامى الا حيوانا جشعا مستعدا لقتل أمه لاشباع نهمه لماذا لم تستل سيفك عندما دوت مدافع المحتل فى اذنيك وقدمت بلادك اكلة سائغة للدخلاء ؟..

ضرغام : كنت عندها فى (برمسيون) !! (*)

ثم ان سيدنا الباى لم يصدر الينا امرا من هذا القبيل .. (تتغير لهجته) هل تكونين تابعة لاولئك المتمردين على سيدنا والمنادين بالثورة على الفرنسيس ..؟

(*) تعنى إجازة .

زينب : وهل تتصور يا أحمق انه سيطول الان مقام سيدكم على العـرش بعد ان باع البلاد للفرنسيس .

ضرغام : انك كثيرة الثرثرة .. عرفنا عن نساء هذه الديار انهن يخفضن بصرهن لدى رؤية الرجل ولا ينطقن الا اذا طلب منهن ذلك .

زينب : (فورا) ومن قال انى فى حضرة رجل !

ضرغام : سنرى ذلك .. (يرتمى عليها ويمسكهـا بين ذراعيـه) استمعى الى يا غزالتى ..

زينب : اتركنى .. اتركنى .. سأصرخ سأصرخ ..

ضرغام : لا اعتقد انهم سيلبون نداءك .. كان عليهم ان يفعلوا ذلك من قبل .. اما الان فقد انتهى كل شىء . وما عليكم الا الرضوخ والطاعة فانتـم موصولون بنا تابعون لنا منصهرون فينا ولا حياة لكم الا بالولاء للحكم القائم فى هذه المملكة الحسينية الاسلامية الحنيفية المالكية الى ان يرث الله الارض ومن عليها . (تنفصل عنه)

زينب : انتهى كل شىء .. وبدأ كل شىء ..

عم تدافعون الآن .. لقـد سقطت اقنعتكم عن آخرهـا وظهـرت وجـوهكم المضرجة بالاثم وانهار عرشكم واتقدت القلوب حقدا عليكم

ضرغام : لم ينتـه أى شىء .. السلطـة فى أيدينـا والجيش الفرنسـاوى واقف الى جانبنا والورد ما زال غضا فى بساتين سيدنا

زينب : لا تنتظروا منا استسلاما .. مازلنا احياء .. ما زلنا احياء ..

(يتقدم ضرغام نحوها فترتد الى الخلف . فى هذه اللحظة يظهر خلفهـا جمع من العسكر تواصل زينب الانسحاب الى الخلف حتـى تصطـدم بهـم فيرفعونها على ايديهم . يدخل معمر فرنسى يأخذ زينب بين ذراعيه فيتحلق حوله العسكر . يواجه ضرغام الجمهور ويحجب الجمع بذراعيه) .

الطـور الثـانى

(المشهـد الثـانى)

(يدخل رجل ابكم جاريا . يدور حواليه وينطق بكلام مبهم ملوحا بذراعيه يتبعه جمع من الحماسة وقد عمهم الاضطراب)

رجل 1 : ايها الناس .. ايها الناس .. اذا جاءكم رجل يدعوكم الى نصرة الباى فاعلموا انه مأجور خسيس فى خدمة عائلة نخرها النهم فتداعت للسقوط واذا جاءكم رجل يحرضكم على اتباع اهل الحل والعقد فاعلموا انه مبعوث زمرة من الادعياء الحالمين كلامهم زبد عقيم لا ينبت زرعا ولا يشفى غليلا .

واذا جاءكم رجل يقول : ان الفرنسيس اخوان لكم يرومون اعانتكم فاوثقوه وطوفوا به فى الساحات ثم اسلخوه كما تسلخ الشاة .

ايها الناس ان اليد التى امتدت لاعانتكم وانتشالكم من جور اولاد حسين وجشعهم اطبقت باصابعها على اعناقكم فاذا بها اخطبوط هائل يروم ابتلاعنا ومسخنا ..

أيها الناس افيقوا يرحمكم الله .. افيقوا يرحمكم الله ..

(تسرى فيهم الفوضى فيتصايحون ويزمجرون يطلق الابكم كلاما مبهما ملوحا بذراعيه)

رجل 2 : (يهتف فيهم) لنأخذ السلاح ونحاربهم

رجل 3 : اى سلاح .. تعنى العصى والاحجار او « المكاحل » التى اكلها الصدأ !

شاعر : سأهجوهم هجاء مقذعا لن تقوم لهم بعده قائمة !

رجل 4 : سأجول شرقا وغربا عبر القرى والاحياء والساحات وادخل البيوت واقتحم الاسواق واعلنها صريحة جلية ناصعة .

لم تعد لكم ارض .. لم تعد لكم بيوت .. لم يعد لكم حريم .. ان العدو فى ثيابكم فى بيوتكم فى فرشكم

رجل 5 : لكن ماذا نفعل .. ماذا نفعل ؟

رجل 6 : نحفر خندقا حول الديار .. ونجمع مؤونة عام او عامين .

رجل 1 : أية مؤونة تعنى .. الحشائش البرية والطلاغودة ..

الشاعر : (فى لهجة مسرحية) لنرحل من هذا المكان فلا نرضى بميتة الذل والهوان ..

رجل 2 : لا .. لن نرحل .. وبقرتى وشجرتى وجلستنا على الربوة وقت الاصيل وافراحنا واشياؤنا .

(الابكم يطلق كلاما مبهما ملوحا بذراعيه)

(تدخل زينب . ثيابها ممزقة شعرها مشوش تقف عند مدخل الركح وترمق الجمع من بعيد .. لحظة صمت .. تطلق ضحكة هستيرية ثم تعبس فجاة)

زينب : ما زلتم هنا .. مسمرين فى مكانكم كالاشجار الهرمة التى جفت عروقها فبارت ونفخ فيها الريح صفيرا خاويا مزعجا لا ينبىء الا بالفاجعة ..

وهذا الفضاء الممتد بلا افق ما زال صامتا راكدا لا يهيج فيه غبار ولا يركض فيه خيل ولا يحلق فى سمائه طير .. وهذه الشمس الوقحة الدائمة الشروق والغروب ما زالت مسلولة فوق الرؤوس فلا تدعها حتى تذلها وتحنيها وهذه الوجوه الباهتة وهذه العيون المبحلقة لا تنبىء بشىء سوى المـوت . الموت الحقير .. الموت المخجل ..

لو كنت ذكرا لاعملت فيكم السيف وعلقت رؤوسكم فوق الاشجار

(يتملكهم الغضب فيهجمون عليها . لا تتحرك زينب من مكانها . يتسمرون فى مكانهم وهم على قيد خطوة منها ثم يعودون أدراجهم تضحك زينب ضحكة هستيرية يطلق الابكم كلاما مبهما ملوحا بذراعيه)

رجل 1 : (بصوت خافت) اننا وحيدون .. وحيدون فى فضـاء قاحـل جدب موحش . ليس لنا فيه دليل ..

زينب : ابحثوا عنه فى نفوسكم انه كامن فيها ..

اخرجوا وافتحوا صدوركم للمـوت .. ان هـذه التـربة التى انجبتكم فى حاجة الان الى دمائكم لتتمخض ارحامها عن ذرية جديدة جوهرهـا الغضـب وسلاحها الايمان وغايتها الثورة ..

الثورة الى ان نقوض عرش الظلم ويسقط البـاطل ويعلـو الحـق يجب ان تصبح ارحامنا تربة للثورة ودماؤنا غذاء للثورة وحياتنا مشعلا للثورة ..

رجل 2 : لقد اقتتنا الحشائش البرية مثل السوائم ورأينا اطفالنا يموتون بين ايدينا وتشتتنا فى البرارى وعرفنا اليتم والفقدان والضياع ..

زينب : فقال لنا ايمتنا وشيوخنا انه القضاء والقدر ..

رجل 3 : ونظرنا فرأينا حكامنا وسادتنا يمتلكوننا كما يمتلكون الجوارى

زينب : فقال لنا ايمتنا وشيوخنا انه القضاء والقدر . ولكن عندما اخلـد الى نفسى واتامل صفحة السماء الواسعة الصافية اشعر بالبعد الشاسع الذى

يفصلنا عنها . واتبين ان الحقيقية الوحيدة الثابتة هي ان كل شيء يبدأ مني وينتهي الى وان كل ما في ارض البشر من صنع البشر .

الآن اكتشفت ان هناك شيئا يكمن وراء هذه المشيئة البشرية .. اكتشفت اننا قوم مغفلون .. نعم .. مغفلون واذا نحن الان مغفلون .. مقهورون مستضعفون فلاننا اردنا ذلك .. و لايوجد احد غيرنا لتغيير ذلك .. فاما الثورة واما الموت

رجل 4 : انا لا يهمني ان كنا مغفلين ام لا .. كل ما اعرف هو اننا ضعاف وهم أقوياء واننا عزل وهم مسلحون واننا رعايا وهم أسياد .. نحن مستعمرون.

الشاعر : انا اعتذر .. لي قصيد لم أكمل نظمه (يخرج)

رجل 5 : وبقرتي .. ماذا سيكون مصيرها ؟

رجل 6 : انا لم يمض على زواجي أكثر من شهر ولم اتمتع بشبابي ما زلت شابا واريد ان اعيش .. انا لا افهم شيئا من كل هذا ..

رجل 7 : (مخاطبا زينب) الا تذكرين مجزرة الساحل ايام احمد زروق .. ومصير علي بن غذاهم الم يبعثوا اليك برأس زوجك في مخلاة وهلا تذكرين وجه ابيك المحتقن بمرارة السم وهل نسيت جسد اخيك وهو يتدلى من اعلى مشنقة .. نحن ادميون .. لا حول لنا ولا قوة امام الموت .

زينب : اذكر ذلك جيدا ليس بوسع كل افراح العالم ان تنسيني ذكراهم، انى احملهم في دمي حمى عاتية واحس بهم يهبون مع الريح وينزلون مع المطر وينبتون مع اشجار الدفلى ويشرقون مع الشمس الدامية ليذكروني بالقصاص .. القصاص العظيم .. ويطل زوجي كل اصيل من وراء السحب وينفخ في احشائي من انفاسه العاصفة فاشعر بانني حبلى .. حبلى بالغضب .. والحب والموت (تصرخ) انه لمن العار ان يكبو فرس فحل في اوج رجولته ولا نثور .

رجل 5 : وماذا سيكون مصير بقرتي انا ؟ (ينطق الابكم بكلام مبهم ويلوح بذراعيه في الفضاء)

★ ★ ★

الراوي : ازاء هذا التيه الكبير ، ما هو موقف ولي تائق الى الفضيلة والخير واليقين مثل عمر بن عثمان ؟ هل كان شاعرا بدوره في بلورة هذه الرغبة العارمة في ان تهب العاصفة الجبارة التي تحطم كل شيء وتحمل الناس على اعادة بناء ما تحطم فيتبينون عندها انهم يبنون شيئا جديدا يجلب الفرحة والفخر ؟

★ ★ ★ — يتبع —

حبّي ورحلة الفقراء

شعر : عبد المجيد عبد الله

سكبت دموع عذابها فى أضلعى
ومضت تحدثنى عن الامس الجميل
قالت : رأيتك يوم كنت تحبنى
وتدك نهدى بالأصابع والقبل
وتبيح شعرى للنسيم يفكه
من أسر صدرك عندما تخلو السبل
وتجرنى وتضمنى حتى اذا
أغفيت فى سكرات حبك قلت لى :
الحزن فى قلبى كعصفور سجين
اليأس يحرثنى ويزرع بذرة الزيغان فى قلبى العليل
وأنا حزين
أمشى وراءك أقتفى ظلى النحيل
ومعى من الاحزان ما يكفى لتزجية الرحيل
لا تقربى ، بينى وبينك قام كوخى والحصير
وحمارنا المحروم يحلم بـ « الزريبة » والشعير
وجدار حقد حاكه جدى ورممه أبى
لا تقربى ...

أضواء قصرك تنسج المأساة فى أعماق صدرى تجرح البصر الكليل
تمثال بيتكم العجوز يدق أجراس الحداد
يمشى إلى بسوطه وبحبل مشنقة طويل
ومغارس النعناع فى شرفات بيتك ساخطات ، قائمات ، ثائرات مثل أشواك النخيل

وأنا حزين ...
الكوخ يكشف عورتى
الكوخ أصبح سوأتى
الكوخ يبصق فوق ما سميته أمسا جميل
وجدار جدى قائم فى الحى يدعو : أيها الفقراء هبوا للرحيل

وأخيرا .. تصدر أخيرا ..

• أول مجموعة شعرية للشاعر : **الصادق شرف (أبو وجدان)** صدرت أخيرا (وقد طبعها الشاعر على نفقته) . بالشركة التونسية لفنون الرسم .

والاستاذ محمد مزالى مدير مجلة « الفكر » ووزير التربية القومية هو الذى وضع المدخل النقدى لهذه المجموعة الجديدة .

الحضارة القيروانية بين الأمس واليوم

بقلم : أحمد الطويلي

وصفت لنا مختلف المصادر من كتب تاريخية الى تآليف الرحلة ما وصلت اليه مدينة القيروان منذ أسسها عقبة بن نافع سنة 50 ه الى سنة 443 ه سنة هزيمة المعز بن باديس في موقعة حيدران وحلول الكارثة بالقيروان .

لقد بناها عقبة قاعدة عسكرية ، اعدها للجهاد ، فيها تتزود جيوش المسلمين ومنها تخرج لتقاتل الكفار وتفتح المزيد من البلاد في المغرب والاندلس وصقلية ...

وأثبت الصحابي المؤسس للقيروان بنيانها على التقوى والصلاح والتدين المتين فبلغت مكانة عظيمة في قلوب المسلمين وصارت رابعة الثلاث بعد مكة والمدينة وبيت المقدس واصبحت قلعة العلم والفقه بافريقية والمغرب ، وعانقت المذهب المالكي تدعم اركانه ، وتركز أساسه . وكان سحنون وابنه وتلامذته ينشرون مبادىء الامام مالك بن أنس رضي الله عنهم ويشرحون اقواله ، ويفتون حسب كتابه الموطأ .

ومنذ ان تولت الاسرة الاغلبية حكم القيروان ، اخذت مدينة عقبة تتدرج في الحضارة حتى اضحت اكبر مدينة بالمغرب ازدهرت فيها جميع جوانب الحياة المختلفة من حيث الاقتصاد والتجارة والثقافة والسياسة والعمران ... ويذكر الرحالون مثل ابن حوقل والبكري ، مابلغت اليه من الثروة والازدهار، ويصفون جمال معالمها العمرانية وبناءاتها الفخمة . فالآداءات تصلها على مختلف انواعها من خراج وعشر وصدقات .. مما جعل دخلها يفوق 700 ألف ألف دينار ، وجعل المعاملات الاقتصادية تتطور فيها وتنفق التجارة بها ، فتدخلها البضائع من جميع النواحي وتصدر هي للشرق منتوج حياتها العمرانية المرفهة من جوار حسان ومولدات روميات الخ ..

فكانت المدينة تعج بالاسواق والمصانع واشتهرت بها خاصة سوق السماط الكبيرة التى تشق المدينة امام الجامع الكبير ، تتصل بها الحوانيت من كل جانب وتتفرع الصناعات عن يمين وعن شمال (انظر كتاب بساط العقيق للمرحوم حسين حسنى عبد الوهاب) .

وامتد العمران حوالى القيروان ، وامتلأت الضواحي بالسكان والمباني : فهذه صبرة التى بناها الخليفة اسماعيل العبيدى بعد تغلبه على ثورة ابى يزيد الخارجي صاحب الحمار وسماها المنصورة ، تزخر بالحياة وتأهل بالعمران . وهذه رقادة التى يلذ فيها المقام ولا يحلو الا فيها الرقاد . وتلك مدينة القصر وتدعى «الرصافة» أيضا يشع فيها الانس ... وغير بعيد بلدة جلولا ذات البساتين الفائحة والمنتوجات الزراعية الغنية وقربها تجد سردانية «وليس بافريقية موضع أجمل منها وحولها بساتين ملوكية مشجرة بأنواع العود الرقيق » (انظر الكتاب المذكور آنفا) .

وعند هجوم بني هلال وقبائل الاعراب على القيروان منذ سنة 443 هـ حلت الكارثة بها فكأن ذلك الازدهار لم يكن ، وحل الخراب بعمران المدينة ، وهدمت معالمها ودهمت المصائب والنكبات السكان فكان القتل وسفك الدماء والتدمير والنزوج عن البلاد ، يقول ياقوت فى معجم البلدان :

« ... وهذه مدينة عظيمة بافريقية عمرت دهرا ... وليس بالغرب مدينة اجل منها الى ان قدمت العرب افريقية وخربت البلاد ، فانتقل اهلها عنها » . ومرت من بعد ذلك قرون على القيروان تشتد فى نفوس اهاليها الذكرى للامس السعيد وتضطرم لواعج الحنين الى هاتيك العهود الزاهرة والازمنة التى ترمز الى اوج مجدها وقمة عزها .

وفقدت فيها المدينة دورها كعاصمة سياسية ، وتخلت عن وظيفتها كمركز اشعاع وحيد بافريقية وباتت بلدة تعيش على الذكريات وتستلهم الماضى البعيد فتثير مشاهدة معالم الامس فى نفوس القيروانيين دواعى الاعتزاز واسباب الافتخار .

وتعاقبت الدول بافريقية بعد النكبة الهلالية ، واتخذت من مدن أخرى عواصم لها وكأن القيروان اضحت اذ ذاك تعيش على هامش الحياة السياسية مدينة ثانوية ، واصبحت منزوية على نفسها فى عهد الحفصيين

وفى فترة استيلاء العثمانيين على تونس وفى زمن الحكم الحسينى .

الا انها وجدت نفسها تشارك فى الحياة السياسية بتونس فى القرن الثامن عاشر المسيحى اذ كان مركزا من المراكز التى دارت فيها الحروب بين مؤسس الدولة الحسينية وابن أخيه ثم بين ابنى الحسين بن على وابن عمهما الباشا على باى الثانى .

وكان يوم 17 اكتوبر 1881 يوما مظلما على اهالى القيروان اذ احتلت فيه القوات الفرنسية المدينة وقد جاءتها من ثلاث جهات وطوقتها .

وساهم بنوها فى مقاومة الاحتلال الفرنسى مساهمة فعاله اذ كانت القيروان قلعة من القلاع للنضال المستميت سجن منهم الكثير ، واستشهد العديد الى ان انجلت غمة الحماية وبزغت شمس الاستقلال يوم 20 مارس 1956 ثم ألغى النظام الملكى الحسينى فى يوم 25 جويلية 1957 وقد قاست منه القيروان الامرين ، ويذكر لنا صاحب كتاب المشرع المالكى فى سلطنة اولاد على تركى (المخطوط بدار الكتب الوطنية رقم 5265) ما جرى للقيروان من المصائب خلال الحروب التى دارت بين على باشا وابن عمه اذ هدم سورها وسكنها البوم والغربان وعمر جوانبها الجربوع ولا بقى بالقيروان حس ولا حسيس ، ولا أعلى ولا خسيس ، الا ما قيل عند أوقات الصلوات يسمع فيها من يؤذن ولا يرون شخصه » .

ويتعجب محمد بن محمد الصغير بن يوسف الباجى صاحب الكتاب المذكور من خلاء القيروان فيقول : « والعجب من مدينة القيروان كان على يد الامير حسين احياؤها وعلى يده كان خلاؤها وخرابها » . والتفت يونس [بن على باشا] الى تلك الرعايا بالسجن والخطايا ووافق هذا الامر العظيم والبلاء الجسيم سنة (1153) . (1740 / 1741) .

فكان اذن اعلان الجمهورية فرحة كبرى فى قلوب اهل القيروان الذين ما يزالون يروون تلك الايام السوداء فى اول العهد الحسينى .

واستعادت القيروان مكانتها واستردت وظيفتها فى البناء والتشييد والمساهمة فى النهوض بالاقتصاد الوطنى ـ والاخذ باسباب التقدم الاجتماعى والثقافى ، وصارت ترنو الى المستقبل بعد ان كانت لا تنظر الا الى الامس البعيد وكلها الآن اعتداد بامكانياتها المتوفرة وبقدرتها على التجدد العميق والخلق المستمر .

مرثية "يوسف"

شعر : محمد الناصر الصدام

ألا صريا أخا القلب السليم ... الى دار السعادة والنعيم
فقد قدمت فيما قد علمنا ... جزيل الخير من نفع عميم
فكم هذبت من خلق لنشء ... يسير به على النهج القويم
وكم نورت فيه من عقول ... وكنت على صراط مستقيم
محضت له النصيحة باتباع ... لهدى الدين والذكر الحكيم
ومثلك من سما فى الناس قدرا ... ونال الحمد بالخلق الكريم
شمائل يستشف اللطف منها ... تفوح أرق من هب النسيم
تنم عن الفضيلة فى صديق ... وفى العهد ذى ود حميم
نبيل الطبع لم يجنح لزيغ ... تحلى بالأمانة من قديم
عرفنا فيه عدلا ما أزلت ... له قدم ولم يك بالمليم
محبا للحقيقة لا يبالى ... أخا مكر ولا دعوى ظلوم
وكيف يزل ذو رأى حصيف ... وذو قلب من الاهوا سليم
بوحى من مبادىء مستقاة ... من القرآن ذى الذكر العظيم
ومن أقوال خير الخلق طه ... نبى العرب مصباح العلوم
وأسباب السعادة لن تلقى ... سوى المنظور من رب رحيم
أيا « عبد العفو » لقيت عفوا ... يقيك غدا من الخطب الجسيم
تكون وأنت «يوسف» فى جوار ... ليوسف فى نعيمكما المقيم (*)
مع الرسل الكرام وأهل بدر ... مع الشهداء فى العقد النظيم
ولا زالت على مثواك تهمى ... سحائب من لدن رب حليم
تلاقى عنده خيرا وتجزى ... جزاء مقرب بر كريم

(*) رثى بها الشاعر : الفقيد يوسف بن عبد العفو رئيس الفرع الزيتونى بالقيروان فيما مضى .

خواطر حول ديوان صالح السويسي القيرواني

بقلم : محمد الشعبوني

قد ظهر أخيرا عن الدار التونسية للنشر ديوان شعري يحمل اسم (ديوان صالح سويسي القيرواني) في 176 صفحة من الحجم المتوسط وقد عرفت نجوى الكافي في مقدمة الديوان بالشاعر صالح سويسي الاديب والمصلح الاجتماعي المولود سنة 1874 . وقد سبق لصاحب الديوان ان نشر مجموعة من أشعاره في كتابيه (زفرات الضمير) و (فجائع اليتامى) ولست أدري لماذا لم يقع ادراج جميع هذه القصائد في ديوانه الجديد خصوصا وقد وجدنا به بعض القطع المنشورة في كتابيه ، والمتأمل في ديوان صالح السويسي يلاحظ ان ما نشر به ليس هو كل شعر صالح سويسي وحتى الذى نشره الاستاذ زين العابدين السنوسي في كتابه (الادب التونسي في القرن الرابع عشر) لم نجد الكثير منه ، فضلا عما نشره الشاعر بالصحف والمجلات ـ كما أن أغلب قصائد الشاعر في ديوانه هذا لم تؤرخ ولم تذكر أسماء بحورها كما تقتضيه الاساليب الجديدة ولم يبوب الديوان الى أغراض كما فعل صاحبه في قصائده التي نشرها في (زفرات الضمير) . وهذه الملاحظات التي ابديناها لا تنقص أبدا من قيمة الجهود التي بذلها أصحابها لاخراج هذا الديوان مشكورين ، وكم كان من الانسب لو وضعت كلمة الاستاذ محمد الحليوي التي نشرها بكتاب في الادب التونسي عن الشاعر ، موضع مقدمة لهذا الديوان أو ان تقع الاستعانة بما كتبه الاستاذ السنوسي عن حياة الشاعر . خصوصا وما كتبه السنوسي نجد فيه من شكوى الاستاذ سويسي أبياتا لم تنشر أيضا ومنها قوله :

نظمت وماذا ينفع النظم والنثر اذا كانت الآداب موردها الفقر
جوائز شعري اليوم أحسنت يا فتى على نظمك العالي وحق لك الشكر
فعندي (من أحسنت) كنز مختم سيفتح في موتي يقال له القبر

وقال أيضا فى هذا المعنى مما لم ينشر :

لقد أصبح الشعر شيئا حقيرا ونلنا به صفقة الخاسر
وما أن رأينا له من نصير يعاضد فى الزمن الحاضر
فلا يكسب الشعر صاع شعير فرحمة ربى على الشاعر

وهناك مما لم ينشر قصيده الذى بايع به خزنة دار وفيه يقول :

(وإنى بتشكيل الوزارة أجدر)

وبالعودة الى الديوان نجد قصائده موزعة بين نزعة اصلاحية سلفية ، ودعوة حارة الى التمسك بالدين والعلم ، وبين قصائد اجتماعية تقوم على تصوير الواقع وتجسيم الاحوال الاجتماعية ، وتخليد آثار الرجال ووصف ما عرفت به مدينة القيروان من مجد تليد وأثر حميد الى جانب مقطوعات فى وصف الحياة اللاهية وانك لتقرأ لهذا الشاعر فى ديوانه مثلا قوله :

محب بطول الجوى سهده وليس لليل الهوى غده

وتقرأ له :

إن الاديب اذا ضاقت به الحال فالمستحون لهم فضل وإفضال

ومن أروع ما نظمه صالح سويسى قوله فى خاتمه الذى باعه من أجل الخصاصة :

قد كان عندى خاتم أماسه كالبدر يشرق فى الظلام القاتم
فاذا أشرت بأصبعى فكأنه برق يبشرنا بغيث قادم
قد سله منى زمان غاشم سلت حوادثه كمثل الصارم
انفقت عمرى فى القريض خسارة واليوم بعت من التعسر خاتمى

ويصور لنا الشاعر نفسية بعض الاصدقاء من هؤلاء الذين يتغيرون عندما يحتلون مكانة مرموقة فى الوظيفة فيقول :

عجبت لخل كان يرعى مودتى ويدفع عنى الضر من كل جانب
فلما ترقى للوظيف تغيرت سجاياه والدنيا مقر العجائب

وفى الديوان جزء كبير مما يسمى بأدب الاخوانيات وهو من النوع الاجتماعى الذى يعطى صورة عن العصر وأحداثه وعلاقة الادباء ببعضهم بعضا ، هذه وقفة قصيرة جدا مع هذا الديوان الذى يضم أكثر من مائة قطعة شعرية ويعتبر وثيقة أدبية كبرى ، يستحق معها ان يطيل الادباء الوقوف والتأمل . وأن تتظافر جهود الجميع على جمع ما بقى موزعا هنا وهناك من شعر صالح سويسى . ومن باب التذكير ألاحظ أن من بين القصائد التى نشرت قديما ولم يجمعها ديوان الشاعر :

1) قصيد نشر بالمجلة الزيتونية سنة 1937 ومطلعه :

أضاءت بنور الدين تسمو على البدر   فقمت أحييها بدر من الشعر

2) وقصيد نشر بمكارم الاخلاق عدد 4 سنة 1 مطلعه :

عش فى زمانك بالثناء الباقى   واسمع لنصح مكارم الاخلاق

3) وقصيد نشر بتونس المصورة العدد 5 ـ 6 مطلعه :

مجلة (تونس) ظهرت بحسن   (وتصوير) من الشكل البديع

4) وقصيد منشور (بفجائع اليتامى) مطلعه :

من ذا الذى فى العيد لا يتكدر   من منظر منه الحشا يتفطر

5) وآخر مطلعه :

صوت ينادى ويدعو للذى وجبا   فمن يلبى نداء الخير ما نكبا

6) وآخر نشر (بالوزير) سنة 1920 مطلعه

قف واعتبر بضخامة البنيان   واعجب لصنع براعة الانسان

7) وآخر (بالوزير) ماى 1920 مطلعه :

علماءنا هل تسمعون مقالى   وبيان ما يدعو لسوء مآلى

8) وآخر بنفس الصحيفة يوم 6 فيفري 1922 ومطلعه :
نور الكتاب يزيح كل خلاف   بين الورى وهو الدواء الشافي

9) وآخر (بالوزير أيضا) وطالعه :

يا دولة رفعت على القطر العلم   ورجالها أهل السياسة والحكم

10) الى امير البلاد (انظر كتاب الحداد والبيئة التونسية) لاحمد خالد يقول في مطلعه :

يا امير البلاد لا زلت حصنا   لحمى الدين للعباد مجيرا

11) تشطير لرباعيات الخيام التي بمناسبة نظمها الاستاذ محمد أبو شربية قصيده (الخيام) (ومشطر رباعياته)

12) هذه أمثلة لا غير وهناك قصائد أخرى يتعين اثباتها في ديوانه حتى يمثل روح الشاعر ويجسم احداث عصره كقصيده الذى نشره بجريدة (الزهرة) مرحبا بها ومطلعه :

اعز نفس لها الابصار قد شخصت   من في الحياة لنفع الجنس قد خدمت

اما وقد صدر الديوان بشكله الحالي فنحن نرحب به في انتظار طبعة ثانية ، يقع فيها التدارك لننصف الشاعر ونعمل على نشر تراثه بدون نقصان .

تقرؤون في الأعداد القادمة

الأبعاد الاجتماعية في تجربة ابي العتاهية الزهدية .... بقلم توفيق بن عامر
الحب .. والزمن .. والموت .. .. قصة نور الدين بلقاسم
اعز احبابي جميعا ! .... شعر الصادق شرف
ميلاد الميزان في الشعر العربي .... بقلم محمد العياشي

صرخة الدماء

قصة : الهادي حمودة الغزي

استشهد أربعة من الرفاق أو من الجائز أن تستشهد البلدة كلها لكن النصر بحول الله آت لا ريب فيه . واذا كان آباؤنا لم يرهبوا من الفاردموبيل في وقت لم يكونوا يملكون من السلاح شيئا غير الايمان فكيف نحن اليوم وبأيدينا البنادق والسدسات والدانميت أكداس والمفككين للقنابل قادرون على مدنا بما نريد وأما الطوار الذى تمتحنه أمامنا فان والده لا يقل ــ رحمه الله ــ عن والدك وحديث جرأته في مظاهرة سنة 1938 ما يزال وأخوك الطوار اليوم من المتأكد ان يكون كوالده في غيرته على الحزب وجرأته في الجهاد . وبعد فكلكم أهل لذلك وأكثر . والآن الاحسن ان تتم لنا حديثك يا مصطفى .

وتنحنح مصطفى وظهر الاضطراب في صوته الأبح :

ــ كان اقتحام « حومة الحمار » ، كما يظهر ، من نصيب جندرمة قليبية والبوليسية وفي مقدماتهم « بانبونا » وأولاد المعمرين وبعض القوادة مثل « سليم غابة » وأكبر دليل على هذا أنهم يخاطبون الاهالي بالعربية ولم يسوقوا رجال الحومة مباشرة الى الغويرفه بل جمعوهم وجلبوا ولد سيدنا يسألونه عن اسماء اخواننا واكتشفوا بذلك عبد الله صهري وأختي ومحيي الدين وقتلوهم بصورة تدل على حقدهم وجبنهم ثم أغرقوا الباقين في دمائهم ضربا بأعقاب الرشاشات وحين أوصلونا الى الغويرفه دفعوا بنا الى دار ابن عرفي فوجدت منظرا يقطع القلوب فقد أوقفونا على شكل دائرة وظهورنا الى جدران الدار الداخلية والايدي مرتفعة والوجوه والثياب مصبغة بالدماء حتى كأنهم كانوا يسبحون في بركة من الدماء وقد تعجبت اذ رأيت ولد سيدنا ومعه الحجاج الثلاثة والشيخ صالح وحمادي و ...

وقاطعه عمر الحجام :

ــ من هم الحجاج الثلاثة

ــ لا تعرفهم ؟

فقال الطوار :

ـ ماهم حامد وسى الطالب والشيخ عبوده موش هكه يا مصطفى ؟

ـ نعم نعم . الحاصل وجدتهم كلهم أمام الدار كيف جماعة القدرية ، لارفع أيدى ولا دماء ولا ملازمة الظهور للجدران . وحين قربت الكميونات لشحننا وتحرك من الدار من اخواننا اغتنم بعض المناضلين خروج الحرس وارتمت جماعة منهم على جدار الدار الغربى وكانت مغامرة خطيرة لو كشفوها لاعدمونا جميعا .

ـ كيف تخلصت إذن ؟ هل أصبحت شيخا تاسعا فى مجموع الثمانية ؟

وقد سال هذا السؤال الطوار فى شيء من المزاح ؟

ـ أوه ، السيقارو نفع فى هذه الحالة فقد انفصلت عن الطابور فى الوقت الذى حاذينا ولد سيدنا وجماعته ومددت يدى بالسيقارو للحاج عبوده سائلا منه وقيدة وفيما هو يدخل يده فى جيبه رحت أسأله عن حاله وحال ولده الطيب وفيما اذا كان بخير وهل يوصينى بعمل .

وفرح السيد الحاج لانى أهتم به وأضع نفسى فى خدمته فراح يحدثنى عن ابنه الطيب وكيف أنقذه بفكرة جعله ملازما لنجل ولد سيدنا أما ما طلبه منى من خدمات فقد قال لى خدمات كثيرة نحتاجها منك وكأنما أصبحت معه شيخا مسؤولا فى لجنة الثمانية وقلت فى نفسى الحمد لله السيقارو نفع وفى هذا الوقت كان اخواننا يشحنون فى الكميونات كأنهم بقايا غنم افترستها الذئاب، وباشارة من قائد الحملة الذى كان يتحلق من حوله مجموعة من ضباطه ، اندفع نحو ولد سيدنا ولم يكد يخاطبه حتى دعانا له وبدأ يخاطبنا والمترجم يترجم لنا مبينا فضل فرنسا علينا وأعمالها الصالحة فى تطوير البلاد وحمايتها وتعليم ابنائنا وكيف فتحوا أعينهم فأصبحوا يبصرون نور الحياة . وذكرنا بهذا كله ثم بين لنا كيف ان التونسيين قابلوا احسان فرنسا بالاساءة والحب بالبغض والصداقة بالخيانة وآخرها هذه التى قامت بها حمام الغراز وتازركه ومنزل تميم ووو ... وعند هذا الكلام تلفع القائد وتحول فى لهجته كنمر شرس خبيث يرطن ويده لا تكاد تهدأ تعبر عما ينتظرنا ان لم ننفذ تعليماته وهى : جمع السلاح الذى ضربت به البلدة أمس بقليبيه وأن لجنة الثمانية يضمنون فى جمع هذا السلاح واذا لم يتم ذلك فى وقت قريب فسينفذ حكم الاعدام فى كبار البلد وحذر من ذلك الحذر الشديد وقد أجاب عن الثمانية ولد سيدنا فذكر ان

ما حدث أمس ليس الا افعالا صبيانية وأن رجال البلد غير موافقين على هذا العبث وانهم يضمنون للقائد بتنفيذ تعليماته وسوف يجمعون السلاح فى اقرب وقت .

فقال القائد حسن ، حسن نحن فى انتظار تنفيذ التعليمات ولتسهيل المأمورية فان السيد المراقب لا يهمه من هم الذين كانوا يملكون أسلحة ، المهم جمعها وكفى . فان فرنسا أم الحرية وحبيبة الباى سوف تعفو عنهم جميعا وثقتنا كبيرة فيكم أيها الكبار . وتسابق الجماعة بالشكر والثناء على القائد والمترجم ينقل ما يسمع . وأدار القائد ظهره نحو مدرعته وهو يخاطب مترجمه :

ـ خبرهم أننا نثق فيكم وأرجو أن لا نزوركم مرة أخرى لتنفيذ الاعدام فيكم ، فاهمون ؟

وتحركت المصفحات والدبابات تهد الكياس هدا .

هذا ما شاهدته اليوم وما أن حملنا المستشهدين الى ديارهم وعدت الى منزلى حتى وجدت وصية الطوار لى بالالتحاق بكم .

وقال الطوار فى لهجة من توصل الى فك رموز أسرار حيرته حينا :

ـ صار المسالة هكذا ، آه الآن عرفت الحقيقة .

وسأله رئيس الشعبة بفضول :

ـ حقيقة ماذا هل حصل لك طريح معهم ؟

ـ طريح ؟ ما هو كل حد وحظه ، هل تصدقون انى ، تو ، تركت الجماعة الآن يعودون الى منازلهم بعد اجتماعهم بحانوت ولد سيدنا .

ـ واللـه .

ثم أخذ يقص عليهم ما رأى وما سمع .

وعقب رئيس الشعبة على ذلك :

ـ كلام مصطفى بكله حديث الطوار . ويظهر لى أن الصورة أصبحت واضحة وأننا ازاء خطة مرسومة : تولى الرجال الكبار مسؤولية العمالة فى البلدة بقيادة ولد سيدنا معتمدين على شيخ من كل عرش حتى تنجح الخطه ويحل الكبار الثمانية محل هيكل الشعبة ثم تمت تصفية اعضاء الهيئة عضوا عضوا ،

وتدخل الحجام ليقول :

ـ هذا ما كنت اتوقعه من اثارة نزعة العروشية ضد الحزب بـزرع كـل مناهض للحزب فى أسرة من الاسر فيضرب العم ابن أخيه والخال ابن اختـه وهكذا وكل ذلك تحت عنوان الرجال الكبار وهذا ما حصل فى عام 1938 فقد سلم الرجال الكبار المرحوم الشيخ سليم ورفاقه لعسكر السنغال من اللفيف الاجنبى بحجة المحافظة على البلد من التدمير وكان ذلك بقيادة أبو ولد سيدنا، يا سبحان الله ما اشبه الليلة بالبارحة .

فقال الصادق بصوت ابح ينم على حدة مكبوتة :

ـ المسألة اذن موش من المرسى بدأنا انجدفو بل من شط 1938 ؟ عجبا الم ينكسر هذا المجداف ؟

ولكن رئيس الشعبة فى شبه استنكار :

ـ لسنا اليوم يا صادق بصدد البحث عن طريقة لكسر المجاديف مهمتنـا هى محاولة افتكاك السفينة نفسها نحن اليوم حاجتنا استرجـاع السيـادة ، تحرير تونس الخضراء ، ولا بد من صبر وتضحية وتمرين أعصاب .

ومن يضق صدره سريعا يسقط سريعا يجب أن نصمد والا نسينا كلمـة المجاهد الاكبر : « طول النفس انقاذ للتلف » ؟ اننا لم نجمع هنا لنشرع فى الانتقام فلساعة القصاص لها أوانها ، والذى جئنا من أجله أن نفكر معـا فى الخطوة القادمة والحزب عهد بالمسؤولية الى رجاله فى منهجية نضالية عامة وترك التفصيل فى التنفيذ لنا كل واجتهاده ووجهة نظره وعلى هذا فيجب ان نفكر فى كيفية التعامل مع فرنسا هى بدأت بالقاء القبض على الرئيس فى 18 من هذا الشهر والشعب التونسى بدأ فى الجواب الحاسم ولكل شعبة ومنطقة جوابهـا والجميع فى هدف واحد وعلى هذا حضرنا فما عندكم ؟

فقال عبد السلام :

ـ الجواب عندى واضح .

وعطف الصادق بالسؤال :

ـ ما هو اذن ؟

ـ المضى فى المقاومة .

وقال الطوار :

ــ مثلا ؟

ــ نشرع فى الرد من الآن ها هى أعمدة الهاتف والقنطرة على يسارنا فلنجرب فيها الدانميت الانقليزى ومناشير الحاج حمادة النجار .

ورد عليه الطوار :

ــ هذا غير كاف . قطع أعمدة الهاتف قمنا بها منذ 1938 فهل هذا رد مناسب الخشب كثير فى غابة بوجى وفرنسا لن تحزن من عملنا كثيرا .

ــ على كل هذا جانب مما ينبغى أن نقوم به من مقاومة والبقية تأتى .

وتدخل الحجام :

ــ قطع أعمدة الهاتف لا يكفى لكن يجب أن نقاوم الاستعمار فى كل الميادين ، يجب أن نخرب مؤسساته وطرقه ، ونقتل المعمرين الفرنسيين ولئن لم يكن عندنا بالغزاز معمرون ففى قليبية وفى منزل تميم وغيرها كثيرون المهم أن نكون رجالا .

والتمعت عين امحمد الدن من تحت حواجبه الغليظة السوداء ودمدم مغتاظا من كثرة الكلام ؟

ــ أنا لا أفهم كثرة الكلام . فرنسا لم تفهم زعيمنا وسجنته وأجبناها بالرصاص والدانميت والعصى فلنواصل الجواب وكفى .

وأعجب الجميع بهذا الكلام الذى شفعه الطوار بقوله :

ــ دندن يا دن والله كلامك معقول هيا سى حسين آش عندك طال الاجتماع.

ــ تحب تعرف آش عندى .

ــ نعم .

ــ أنا موافق على كل ما ترون عمله الا أن التنسيق بات أمرا مهما بيننا وبين اخواننا فى الجهة .

فقال الطوار :

ــ وإذن ؟

ــ وإذن يجب أن تتأكد أن فرنسا بعد أن ثار عليها الشعب فى كل مدينة وقرية أصبحت كالمجنونة فهى كعكاز الاعمى مرة فى باجة وأخرى فى العاصمة وثالثة فى الساحل ورابعة فى نابل ولم يعد همها مطاردة الوطنيين فقط

ولكن الحرص على انتهاك الحرمات تعطشا للانتقام الذى يمليه حقدها البغيض على الشعب. ولذلك فانى متأكد انها ستشدد الخناق علينا خاصة لماتخشاه منا نظرا لاهمية عناصرنا الدستورية وحساسية موقعنا وسوف لا تكتفى بحملتها هذه فقط كما فعلت عام 1938 لان السلاح الذى تعاملنا به مع كلابها فى قليبية لم يكن فى حسابها ولا كانت تتصوره لذلك عمدت الى ضربنا بالطائرات ثم تطويقنا واقتحام بلدتنا بالدبابات والمصفحات ولئن أفلحت فى القاء القبض على ثمانين غزيا وقتل مجموعة من الوطنيين من الرجال والنساء والاطفال فانها لم تقتل كل ابناء الغزاز ولم تأسرنا جميعا وعلى هذا فان حدسى يملى على بان الكلاب سيعودون لحصارنا ثانية ولربما نحن الآن فى نطاق حزام من اللفيف الاجنبى .

ولمعت العيون لكلام رئيس الشعبة وماتت بينهم الحركات ولم تعد غير همهمات ترتعش بها الحناجر . وتابع رئيس الشعبة كلامه متسائلا :

— إذن لا شك أنكم تقدرون هذا الوضع مثلما أقدر ؟

فقال الجميع :

— نعم .

غير أن الطوار كر سائلا :

— لماذا هذا التصور ما داموا قد انسحبوا باختيارهم وبين مخالبهم من الرجال والتلامذة ثمانون ؟

فأجاب رئيس الشعبة :

— يجب أن نعرف أن « زيانة » مركز تدريب للجيش الفرنسى وقاعدة عسكرية زرعتها فرنسا هناك لخنق جهة نابل وجهة الساحل ومراقبة ما يخرج وما يتوجه للعاصمة ولبقية هذه الجهات ولكن فرنسا فى مثل هذه الظروف العصيبة عليها سوف تجعل من مخالب هذه القاعدة كماشة تنقض لجهة نابل وهو الحل الوحيد لها لكبح جماح الشعب بهذه المنطقة والحيلولة بينه وبين التعاون مع بقية النواحى هذا على المستوى العام أما على المستوى المحدود فان ثورة المدن بجهة نابل تخيف فرنسا ومراقبها هنا بصورة كبيرة لان هذه المدن معظمها على السواحل وفرنسا أخشى ما تخشاه أن يتسرب السلاح لنا عن طريق البحر .

وهنا قطع على الحجام على رئيس الشعبة استرساله سائلا :

ـ يبدو اذن وصلنا الى سر العنف الذى سلطته السلطة الفرنسية علينا فجأة وبطريقة غير معهودة .

فقال رئيس الشعبة :

ـ نعم يجب أن نفهم هذا جيدا وسوف يقع استنطاق المقبوض عليهم من اخواننا سريعا وسيعلم المراقب الفرنسى ان من قبض عليهم لن يكونوا سببا فى تأديب القرية باعتبار ان هيئة الشعبة لم يقبض على معظمهم ان لم يكن كلهم وعلى هذا فالحساب يقتضى ان تعود فرنسا لاصطيادنا من جهة وجمع السلاح من جهة أخرى ولن يهدأ المراقب الفرنسى الا بعد أن يحقق هذين الهدفين .

وهنا سأل الطوار رئيس الشعبة :

ـ كيف العمل إذن ؟

ـ العمل ؟ هو التنسيق بيننا وبين منزل تميم هذا التنسيق الذى بدأناه مع اخواننا هناك منذ 1937 فلا ينبغى قطعه بل يجب اجتياز منزل تميم الى قربة وبنى خلاد ثم العاصمة ، ويجب كسر الحصار الذى يضربه المراقب علينا ليفصلنا عن بقية المناطق ويجب ان نعمل منذ الآن على كسر الحصار ومد شبكة التنسيق . وهذه المهمة مبدئيا أعهد بها الى عبد السلام وعمر فما رأيكم ؟

ووافق الجميع على هذا الاقتراح غير أن عبد السلام سأل عن العناصر التى ينبغى أن يتصل بها وعن ماهية التنسيق المنشود ؟

وأجابه رئيس الشعبة :

حاول أن تتصل بسى محمود زهيوه وأخيه قادر زهيوه والحبيب السوسى بمنزل تميم .

ـ فان لم أجد واحدا منهم أو استحال الاتصال بهم ؟

ـ لا يصعب عليك الامر عندك عائلة بن فضل وخاصة الحاج البشير وابنه لا تقلق فسوف تجد هيكلا كاملا من المناضلين وأى مواطن منهم تسأله فسوف يوصلك الى مقصدك انهم مثلنا دستوريون مائة فى المائة والقوادة عندهم معدومة .

ـ حسبت نفسى وصلت فماذا أقول لهم ؟

ـ جميل ، تستطلع رأيهم فى موضوع المقاومة والتخريب متى نبدأ ؟ وكيف ؟ وأين ؟ واذا كانت عندهم اقتراحات فبلغها الى، المهم السرعة فى أداء المهمة والذى أوصيك به الى اخواننا هو أن يكون نشاطنا يغطى منطقة نابل كلها

فتشتعل النار فى المعمرين والمستعمرين وفى مؤسساتهم فى أوقات متقاربة وفى كل مكان ، أتعرفون لماذا ؟

فقال الحجام :

ـ واضح ، مثل هذه الطريقة تخفف الضغط الاستعمارى على بعض مناطق الشعب وتجعل المستعمر يتأكد بأن منطقة نابل كلها نار تشتعل وبذلك ينخرم الامن ويفقد المراقب صوابه .

فقال رئيس الشعبة ضاحكا :

ـ هذا بعض ما تسعى اليه ، أعرفت يا عبد السلام إذن الغرض ؟ المهمة خطيرة .

ـ ربى يوفق بالصبر والمثابرة والعمل ، على كل أنا لا أوصيك فانت ما شاء الله لا تحتاج الى وصية .

وتدخل الطوار مخاطبا رئيس الشعبة :

ـ طيب حسنا ، عرف عبد السلام مهمته ومعه عمر ونحن ماذا نصنع ؟

ـ آه جميل عنده اقتراح هو أن من كانوا معروفين يوم المظاهرة مثلك والدن فالرأى أن لا ترجعوا الى البلدة وعندكم هنشير جاروري فهناك ينتظركم جماعة لنا لايوائكم على أنكم عملة مع الحماسة جئتم لاعانتهم على الحرث والبذر.

أما الاخوة الذين من المظنون أنهم لم يعرفوا مثل مصطفى والزواوى والصادق حمودة فرأيى أن يرجعوا كدليل على انهم أبرياء .

وقال الطوار موجها سؤاله الى رئيس الشعبة :

ـ وانت يا سى حسين ومعك الحجام ستعودون الى البلدة ؟

ـ نعم سأرجع أنا ومحمد الحجام .

ـ ألا تخشى الفتك بك ؟ وهم يبحثون عنكم فى السماء فوجدوكم فى جيوبهم .

فابتسم الحجام وقال :

ـ هل أصبحت تخاف القتل يا طوار ؟ انت كنت تشترى البلاء وتربح فيه مالك ؟

ــ لا والله يا حجام ، أنا مش خير من رئيس حزبي ولكن ربي يقول : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » ما رأيك ؟

وأجابه رئيس الشعبة قائلا :

ــ ليس هذا من باب الالقاء بالايدى الى التهلكة ، يجب أن تعرف أني رئيس الشعبة وهذا الحجام كاتبها العام واختفاؤنا هاربين معناه أننا أتحنا الفرصة لولد سيدنا ليلعب كما يشاء ويفسر هروبنا بالجبن وأننا ورطنا البلاد وقلنا « سلاماتي يا دقنتي » قلب المسؤولية يجب أن يكون في قلب المعركة .

فما رأيك يا حجام والا ...؟

ــ متفق معك لا نهرب « ولا هم يحزنون » .

وقال الصادق حمودة :

ــ اذن أنا سأرجع معكم وانزل عند جدتي .

ورفع رئيس الشعبة رأسه قائلا :

ــ يا صادق أنت معروف عندنا وعندهم أنك تقيم مع والدك « بالحويله » وظهورك بحمام الغزاز في هذا الوقت بالذات سيثير الشكوك وقد ينتهي بك الى السجن فقد يكون ولد سيدنا على علم بمشاركتك في المظاهرة وهجومك على مراكز السلطة أمس فاذا كنت منسيا فلم تذكرهم ؟ يجب أن تلتحق توا « بالحويله » ووجودك هناك خير من وجودك بالغزاز حيث سنشرع فور وصولك في تفكيك القنابل وتجميع داناميتها .

واحتج الصادق على كلام سي حسين :

ــ أفهم من كلامك أنكم تريدون أن تجعلوا مني قطا فوق رف عال بعيد وما عسى أن أفيد « بالحويلة » ؟ اللهم الا صيد الارانب والحجل وضرب الحوت بعصبان الداناميت .

فضحك الجماعة من كلامه حتى لكأنهم نسوا هول الاحداث العاصفة بهم وبادر رئيس الشعبة يجيبه :

ــ كأنك فهمت يا صادق أننا نستنقص جهادك أو نستخف برجولتك وغيرتك الوطنية لا والله أبدا ، ولكن المسألة كلها في الحقيقة ترجع الى فائدة الحزب . وما الفائدة ــ بالله عليك ــ أن ندخل جميعا السجن وتبقى منطقة

الشعبة خالية . ألا يكون محتشد « زيانه » يغص بآلاف من الدستورين أنساهد المراقب الفرنسي على أن يكنس حمام الغزاز وكل شباب الجهة كنسا ؟ هم يريدون هذا أنعطيهم الفرصة ؟ ثم إنك مكلف هناك بمهمة أتعصبى أوامر الشعبة ؟

ـ ولكنك تتشجع أنت والحجام وترجعان متحديين السلط لماذا لا نتحدى معكم السلط ؟ ولماذا لا نعلنها جهرة ؟

ـ من فضلك يا صادق افهمني شوية هذا الطوار يموت من أجل التحدى ولم يقل كما قلت لانه فهمنا ويبدو أنك لم تفهم . يا أخى وجودى أنا والحجام أمر يحتمه العمل الحزبى باعتبار المسؤولية وسمعة الشعبة فالقيادة يجب أن تكون هناك بالبلدة على مرأى ومسمع ان المصلحة تقتضى وجودنا نحن فقط لا غير لرفع المعنويات ، هذا أولا وثانيا حتى لا نترك المجال للجنة الثمانية تقول عنا اننا : فررنا وتركنا الدار لمن بناها وحتى نثبت لفرنسا اننا لا نفر لاننا أصحاب حق والدار دارنا والكلب الغريب ، ولسنا عصابة تضرب وتفر لاحقة بعنان الريح .

واقترب الطوار من سى حسين وانحنى :

ـ المهم المهم الآن .

ـ هو هذا .

ـ إذن على بركة الله هيا يا جماعة ، قوموا .

ونهض الجميع وفى الوقت الذى انطلق فيه عبد السلام وعمر يضمهما طريق واحد مع اللاجئين الى حاروري كان رئيس الشعبة والحجام وبقية اخوانهم راجعين الى البلدة حيث ابتلعهم ظلامها الساكن الرهيب .

ـ يتبع ـ

مجموعات شعرية سنعود للحديث عنها

البحر فى كأس .... مجموعة أولى للشاعر محمد أحمد القابسى

من الأعماق .... مجموعة ثانية للشاعر محمد الصغير

في البحث عن مقر ...... مجموعة أولى للشاعر البشير المشرقي

حصار ...

شعر : محمد علي الرباوي

تبايعني نفسي يحاصرني ظلي ..
تضيق بحار النار تتسع الغابة

أحرك خطوي ، يكبر الحلزون المار بين
خيول الصمت ، أبقى محاصرا

* * *

خمائل أشواقي تراقص فوق الوجه

تورق أغصانا تدلى عراجين البنفسج
منها والظلال على صدري تحط الدوائر

* * *

أسير ، على أنفي ظلال ، وفي
عيني تسبيحة حاده ،

يراقصني رمل الدياجي ، وموج النفس يذكي
رياحا فوق جسمي ،وعصفوري

يحاول هدم القلعة اليوم
لمس الصمت لكنني
في ذاتي أبقى محاصرا

محمد علي الرباوي
(وجدة المغرب)

هل هو على حق ؟

قصة : هناء السوسي

القرنفلة فى يدى .. أشمها .. رائحتها قاسية .. كقسوة الزمن .. لم لم أقل كقسوة الرجال .. كما كنت أقول وأنا أحملها اليه .. حين يكون ميعادنا فى مكان رومنطيقى جميل لا صخب فيه ولا ضوضاء .. لست ادرى .. كل ما أدريه هو ان قساوة الرجل اصبحت كقساوة الزمن .. لا لذة فيها ولا طعم للسعادة معها .. كنت أحب ان يقسو على منير بيديه .. بنظراته .. بشفاهه .. بأوامره أيضا .. فذلك يشعرنى بأنى خلقت لاكون له .. وما دام الامر كذلك فلا بد ان يتحكم فى وان يعارض حتى آرائى .. كانت قسوته غيرة أعشقها .

نعم .. كان من الغيرة ان يلصقنى الى صدره قائلا :

ــ انك لى .. لى وحدى .. حبيبة .. وقريبا زوجة فاهمة ؟..

ــ نعم ..

ــ لا أريدك أن تنظرى الى غيرى .. فاهمة ؟

ــ نعم ..

ــ لا ريدك ان تراسلى فتيانا مستقبلا .. فاهمة ؟..

(*) تابع لما نشر فى مجلة « الفكر » العدد 8 السنة 23

ـ لا .. المراسلة هوايتى .. ولكن أكف عنها .. أصدقائى المراسلون مجرد أصدقاء .. لا تظلمهم ولا تظلمنى بظنونك .. انت وحدك حبيبى .. ثق بذلك ..

كنت أقول ذلك لأثيره .. لأغيظه .. فيغضب قائلا :

ـ عنيدة انت والله .. ما من فتى يستطيع ان يبقى لك مجرد صديق .. كل الرجال يبحثون عن الحب .. ويحلو لهم أن يجربوه .. خاصة مع حسناء مثلك يا حسناء .. انى أغار عليك منهم .. فالزمن العفريت سيجعل الشيطان يسكن فى قلوبهم وعقولهم فى آن واحد .. ما دامت هوايتك المراسلة .. فلماذا لا تراسلين الفتيات ؟!

ـ هوايتى مراسلة الفتيان ..

وأمام غضبه الفادح وغيرته المجنونة أتم وأنا ازداد التصاقا بصدره :

ـ لكن ثق انى لن اراسل بعد اليوم .. حتى مراسلى .. سأقطع صلتى بهم .. أيسعدك ذلك ؟

ـ نعم .. نعم يا حبيبى ..

وكان من الغيرة ان يلتهمنى بقبلاته قائلا :

ـ آه .. آه لو تفطنت لاثر شفاه غير شفاهى على ثغرك لقتلتك ..

وكان من الغيرة أن يأخذ من يدى القرنفلة ويشتمها ثم يقول :

ـ هذه القرنفلة .. لا تهديها الى احد غيرى .. أليس كذلك ؟

ـ بالطبع يا حبيبى .. أنا أهدى اليك انت فقط القسوى التى أحب أن أجدها فيك ..

القسوة .. قسوته ، الآن اصبحت كقسوة برد الشتاء القارس .. أحس به يدلف الى جسمى .. التف بمعطفى .. واستأنف المسير الى لا هدف .. الى أين سأذهب ؟.. الى سناء ؟.. لا .. هى تحضر الباكالوريا هذه السنة .. لن اقلقها .. سأدعها تدرس .. الى عواطف ؟ . قد لا أجدها .. اجتماعاتها كثيرة .. قد تكون الآن فى مقر الشبيبة المدرسية تستمع الى خطبهم وتصفق !. الى سميرة ؟ . لا .. اليوم يوم سبت .. لا شك انها خرجت مع خطيبها رغم برودة الطقس .. أدرى .. أدرى .. ان حرارة الحب تتحدى كل صقيع .. الى أين سأذهب اذن ؟ مقص الغربة يخترقنى .. يا غريبة .. لا أحد لى أطرق بابه

وأجده .. كلهم مؤتلفون .. كلهم مع اوليائهم جالسون .. ينهلون من دفء الأم .. ويحتمون بقوة الاب .. كلهم مجتمعون حول الكانون او المدفأة يحكون.. الا أنا .. وحيدة .. وحيدة .. (أين أنت يا منير انتشلني من وحدتي ..) أنا ضائعة .. ضائعة .. (أين أنت يا منير انتشلني من ضياعي .. قل لي لا أريدك ضائعة .. كما كنت دوما تقول حتى تحس بضياعي) انا حزينة .. حزينة (أين أنت يا منير .. أسعدني بقربك) .. سأقصد أبي .. منذ أسبوع لم أره.. وامشي الى هدف .. سيفتح لي الباب بنفسه مرحبا كالعادة .. سيدخلني الى الصالون .. ويجلسني على ركبتيه مبتسما كما لو كنت طفلة .. ويكشف لي عن سعادته .. أنا لم أنسه .. كذلك لم أحقد عليه .. لذلك هو يحبني .. انه لم يظلم أمي .. بل هي التي ظلمته .. وجعلت حياته جحيما لا يطاق حتى طلقها .. رغم حبه الكبير لها .. نعم .. انه مظلوم .. اغتصب منه القدر منية نفسه .. مثلي تماما ابي .. ضائع رغم الناس الذين يحيطون به .. غريب .. رغم زوجه التي تحبه وتهيىء له من أسباب السعادة ما تستطيع .. لطالما بكيت على صدره على اثر كل حكاية حزينة يحكيها لي وافهم انها تعنيه .. مسكين أبي .. جرح من جراح الايام على الزمن .. أركض .. يجب أن القاه وبسرعة .. ادق الباب .. تفتح لي زوجته .. انها تحبني لانها تحبه .. تحب كل شيء جاء منه .. تدعوني للدخول .. اشرب معها كأسا من الشاي .. ثم اخرج .. أبي ليس بالدار .. خرج لوعد مع صديقه .. حتى ابي لم أجده في وقت احتجت اليه فيه أشد الاحتياج .. وأمي .. تبا لها .. ولاجتماعاتها .. ولعملها .. ولغرورها المفلس .. احسست باني أريد ان اصرخ .. فجريت الى الفيلا وصعدت المدرج بسرعة بعد أن القيت على عم الهاشمي التحية .. دخلت غرفتي .. نزعت معطفي ورميته على السرير .. ثم جلست الى مكتبي .. وعانقت القلم .. ساعات وأنا أكتب .. أكتب .. أكتب .. ثم قرأت ما كتبت .. وشعرت بالغبطة .. بالارتياح .. الاضطراب الذى احس به الآن سيصل الى القارىء .. النار التي تأكلني الان ستحرقه .. سيمشي على جمر احاسيسي الصادقة ولن يتعب .. لن يقول آه من الالم .. بل سيقولها من الحزن .. سيتركها تنبع من أعماقه أمام صدقي والواقع الملموس الذى أعريه له في أجلى مظهر وأرفع عاطفة .. سيبكي معي .. سيصرخ .. سيصرخ .. أريدت ان اكتب قصة أخرى فمضيت أخطط وأخطط .. ثم لما قرأتها .. رايت التكلف فيها باديا .. لم تعجبني .. مزقتها .. مزقتها .. كما مزقتني الايام في ذات يوم .. دق جرس الباب .. انها أمي لا شك .. ترجع بعد أكثر من ثلاث ساعات .. أفتح الباب.. واذا بي امام ليلى في أبهى زينة .. لعلها ذاهبة لعرس أو لـ « بـــوم » ..

أرحب بها حتى أغطى تعجبى من مجيئها فى مثل هذا البرد ..

ـ حسناء .. أتيت لآخذك معى .. كل الاصدقاء مجتمعون فى دار سميرة ينتظرونك ..

ـ لمــاذا ؟..

ـ لماذا ! الست على علم بالحفل الذى تقيمه بمناسبة عيد ميلادها ..

ـ لا .. فانا لم أرها منذ مدة ..

ـ لا يهم .. المهم انك ستصحبيننى الى حيث بـاقى الاصدقـاء .. أليس كذلك ؟ ..

يا لهذه الفتاة .. لم أر مثلها فيمن عرفت وأعرف .. لها برودة دم خـارقة للعادة .. والندم لا يعرف فى قلبها مكانا .. ولا حتى فى ضميرها .. شعارها : اليوم خمر وغدا أمر .. لا يهمها من الحياة الا ان تحياها .. بلا مبالاة بالاحجار التى تعترض طريقها وتدمى رجليها الحافيتين براءة .. اذا صـادف وأحبـت فلتملأ الفراغ .. واذا صادف أن فارقت حبيبها فلأنها ملته ..

ـ ما لك شاخصة فى .. ألا تنوين الخروج معى ؟!

ـ لا ..

ـ لا !.. وان قلت لك أن منير من المدعوين ..

لم أدر لماذا عنفت دقات قلبى .. ما صلة منير بنا .. ما صلته بسميرة ..

ـ .. دعاه خطيب سميرة .. انه صديقه ..

أظل صامتة ..

ـ حسناء .. لو كنت فى مثل لا مبالاتـى لاستطعـت أن أفسـر جمـودك الرافض .. لكن وانت مازلت تحبين منير ..

نعم مازلت أحب منير .. وهى تعلم ذلك .. ليتنى استطعت ان انساه كما نسيت هى فتحى .. ليتنى استطعت ان احب بعده كما احبت بعـد فتحـى . ليتنى رضيت بأحد اولئك الذين طلبوا يدى حتى أنسى منير .. لكن ..

ـ .. ما لك كالمسمار الا تتحركين .. انك سترين اليوم منير يا حسناء .. ستفاجئينه بقدومك .. وقد ترجعان الى سابق حبكما ..

ـ نرجع الى سابق حبنا !.. تهزئين بى انت لا شك .. لم يرجع الزمان القهقرى حتى ارجع الى سابق خلو بالى واحبه بالعنف والطبيعة اللتين احببته بهما ..

ـ لا تتفلسفي يا حسناء .. الحب يجتاز الزمان ..

ـ الظاهر انك لا تدرين مفعول الزمان فينا .. يغيرنا .. فيستحيل الحب غربة .. وتستحيل الضحكة دمعة .. وتستحيل الفرحة حزنا .. وتستحيل السعادة شقاء .. هل انا قادرة مثلا على ان أكلمه بنفس الاندفاع الذى كنت أكلمه به .. بنفس التلقائية .. لقد سلبت منى الايام كل ما من شأنه ان يقربنى منه فيحبنى .. سلبت منى كل فرحة .. لقد اضحينا غريبين يا ليلى .. غريبين .. وقد كنا حبيبين .. لقد قضى الهجر على كل عاطفة كانت تجمعنا.. حتى القلب يا ليلى برد .. انكمش .

قالت بأسف باد .. بلهجة حزينة :

ـ إلى هذه الدرجة انت يائسة .. حتى الحب يئست من مفعوله ..

ـ نعم ..

ـ لا يا حسناء .. يجب ان تقابليه .. فاما ان تكرهيه بهذه المقابلة وتنسيه واما ان ترجعا الى سابق حبكما الكبير .. لا تظلى عائشة على الوهم ..

ـ احيانا .. نجد فى الوهم متعة وسعادة لا نجدهما فى الحقيقة ..

ـ كم أراد سامى انقاذك من هذا الوهم .. من هذا السراب .. احبك المسكين .. وكان يقول لك أبدا أن منير قد ذهب .. ولكنه ذهب الى الجحيم لانه لا يستحق حبك .. كان يريدك يا حسناء .. لكنك رفضته .. رفضته بالحاح كما رفضت كثيرين مثله .. أنت .. أنت التى أمرك منير قبل أن تفترقا أن تحبى .. أن تنعمى .. أن تنسيه مع آخر ..

كنا أمام باب الفيلا داخل السيارة عندما قال لى :

ـ يجب ان نفترق ..

وكانت لهجته قاسية .. وكان أمره كالصاعقة .. صدمنى .. فانعقد لسانى..

ـ لا تنظرى الى هكذا يا حبيبتى .. الذنب ليس ذنبى .. لا بد مما ليس منه بد .. فقط أريدك أن تنسيني ..

ـ آه .. لو كان النسيان سهلا لحققته .. لكن ..
ـ أريدك أن تنسيي يا حسناء .. فتشى عن آخر تحبينه ..

أفتشت عنه أنا حتى لقيته .. لا .. لقد صادفته فى طريق حياتى .. أأردت أن أحبه .. لا .. بل الحب أرادنى ضيفة عنده .. ولم اكن أدرى أن ضيافتى عنده ستكون قصيرة .. هل من السهل أن أحب آخر وقد نفد حبى كله فيه ؟!

ـ نعم .. يجب أن تفعلى ..

ليت كل الاوامر تنفذ .. ليت « اريد » تقترن بـ « استطيع » .. لكن !. أردت أن أسأله عن السبب فى وجوب انفصالنا .. أردت أن استفسر عن الشىء الذى ردعه عن أن يقول لى ذلك فى أول مقابلتنا .. اسئلة كثيرة مرت بذهنى أردت ان القيها عليه .. كلمات كثيرة صعدت الى حلقى اردت أن أقولها .. لكنى لم افعل .. فقط فتحت باب السيارة .. وجريت .. جريت الى غرفتى والدموع لكثرتها تكاد تعمينى فلا ارى شيئا .. حتى أمى كدت أصطدم بها لفرط عذابى .. لقد حكيت لها عن كل شىء .. فسلتنى وقالت :

ـ لا شىء يستحق ان تبكى من اجله هذه العيون الفاتنة يا حسناء .. هى الحياة يا ابنتى .. ماذا تريدين .. تحديها بصمود وشجاعة .. ولا تشغلى بالك بسمومها .. ستتزوجين .. وستحبين زوجك كانك لم تحبى من قبل) .

ـ .. آ .. ماذا قررت .. تذهبين معى .. أليس كذلك .
ـ أذهب معك ماذا اقول له بأى وجه أقابله ؟
ـ لا تهولى الامور .. كل شىء سيمر بسلام ..

لم أدر كيف ارتديت لباس الحفلات .. ولا كيف تجملت لاستر صفرة وجهى المريض حتى لا يظن انى كنت اتعذب من اجله .. ولم ادر كيف ركبت السيارة الى جانب ليلى .. ولا كيف وصلت دار سميرة .. ولا اى موضوع تحدثت فيه مع ليلى وانا فى طريقى اليه .. فقط كنت ادرى ان شيئا اسمه حب الاطلاع دفعنى اليه .. أريد أن أعرف .. اريد أن أعرف ..

لم ادر كيف قبلت سميرة .. هل قلت لها Bonne anniversaire ؟..

لا شك ان نعم .. وخطيبها ها هو صافحته .. والاصدقاء هل حييتهم .. لست أدرى .. كانت عيناى تبحثان عنه .. وحين وقعت عيناى على قامته الطويلة ولونه البنى وجدته ينظر الى بنظرة غريبة .. غريبة .. كنفسى الغريبة .. ليلى تكلمه .. حديثها معه طال .. تراها ماذا تقول له .. انهما يتكلمان والى ينظران

.. هي ذى تدعونى بصوت عال .. أخجل .. وددت لو ابتلعتنى الارض دقيقتها .. يا لسذاجتها .. يا لسوء تصرفها .. ألا تدرى انها هكذا تحمر وجهى .. أذهب اليهما .. أقف صامتة .. أين حيويتى ؟.. أين فدلكتى فى مثل هذه المناسبات .. لست قادرة على اضحاك الحاضرين .. لست قادرة .. وجوده يجمدنى .. يسحقنى .. هو ذا ينظر الى بنظرة عهدتها فيه .. انها الحب .. انها الشوق .. خفت ان يسألنى عما اذا كنت انا التى كلمته هذا اليوم فى الهاتف .. ليته لا يسأل ..

ـ حكت لى ليلى عن غربتك .. وضياعك .. وعجزك عن الحب بعد ان افترقنا .. سامحينى يا حسناء .. لم اكن ادرى انك على مثل هذا الاخلاص والوفاء ..

أخذ يدى وضغط عليها ..

ـ .. سامحينى .. ظننت ان التى تسلم نفسها لشاب قبل الزواج لاتستحق الزواج ..

سحبت يدى من يده بقوة

ـ هكذا اذن .. ألانى احببتك ووهبت نفسى لك ظننت انى لا اصلح أن أكون ربة بيت وفية .. ألم تكن انت تشجعنى على ألا أكون منافقة .. يا لخبثكم .. يا لنفاقكم أنتم الرجال .. وانا التى اعرضت عن كل من ارادنى له زوجة ..

لم ادر كيف غادرت الصالون .. ولا كيف دست رغبتى فى ان امرح وارقص معه على انغام موسيقى « البوب » الصاخبة .. لا ولم ادر كيف صممت أذنى عن ندائه الملح .. يريدنى أن أعود اليه ! ..

لاجلــــك انــــت..

شعـر : محمد سعيد فخرو
(حلب)

لأجلك يضحك وجـه الزمـان   وتبتسـم الارض والكوكبـان
وتخضر نجد ، وبابل تسعى   لتسهـر ليلتهـا فـي عمـان
لأجلـك غنت طيـور الربيـع   وأزهر سرو ، وصفـق بـان
وعرش نيسان فـوق الروابـي   وقبـل غيمـاتـه الاقحـوان
وفتـح كل أزاهيـر بصـرى   وأسكن بغـداد في القيروان
لأجلك غيـرت وجـه الزمـان   وأنـزلت للارض كـل الجنـان
وأرجعت تدمر قصـرا يصلـي   بمعبـده المـاء والكهـرمـان
وألبست نخل الصحاري الحرير   وغزلانها الشاردة الطيلسـان
وجئت إليـك بـزورق عطـر   مجـاديفـه الـورد والبيلسـان
أخبـىء بين ضفـائر شـوقي   تـأوه جعفـر للخيـزران
لأجلـك أنت ، وحبـك أنـت   بخمـس ثـوان يمـر الزمـان

حلب ــ محمد سعيد فخرو

مطالعات

مسرحية «التربيع والتدوير»(*)

تفجير للدوائر .. وبحث عن الحق

بقلم : محمد حمدون

فاذا كانت المرحلة الاولى والثالثة من المسرحية واضحة ومسترسلة فى خط مستقيم الصلاة والابتهال ثم الذهاب الى مجلس المظالم ووقوفه بين العامة والرعاع قبل ان يدخل الى المجالس فان المرحلة الثانية تبدو متداخلة ومتشابكة لكنها فى النهاية متكاملة لتبرز شخصية أحمد بن عبد الوهاب من خلال هذا التداخل فهو يجيب ثلاث مرات عن اسئلة الخليفة فى مراحل مختلفة يتخللها الهجاء والقدح والنقد لشخصية الجاحظ وكذلك مدحه لنفسه وتقديمه لقبيلته وعشيرته وجده ووالده ووظيفته وطبقته وحقيقة حياته ودواخل وضعيته المالية والمهنية فهذا الخط الدرامى من المسرحية متشعب لكنه فى جوهره متكامل من ناحية التوضيح والابراز والنقد

	اللوحة
① صلاته وابتهالاته الى الله	25 ، 2 ، 1
② فى طريقه الى مجلس المظالم وهو بين الناس وامام الباب	5 ، 4 ، 3
③ يشرح ويلخص الخصومة بينه وبين الجاحظ	22 ، 8 ، 7
④ **يجيب عن أسئلة الخليفة**	14 ، 11 ، 9
⑤ **يفاخر ويصف ويهجو ويتحدى الجاحظ**	21 ، 13 ، 12 ، 10
⑥ **يقدم شخصه وجده ووالده ويشرح شأنه** ووظيفته ويصف طبقته	18 ، 17 ، 10 ، 15 ، 20 ، 19
⑦ الحيرة النهائية لاحمد بن عبد الوهاب(؟)	26

(*) تابع لما نشر فى الفكر : العدد 8 السنة 23 .

1) ان مسرحية « التربيع والتدوير » تبدأ وتنتهي عمليـا بالصلاة ٠٠٠ ففي اللوحة الاولى أحمد بن عبد الوهاب يصلي وهو يقرأ « سورة الناس » ثم يبتهل الى الله بدعاء فيه شكوى واستغاثة بالرب ليلجأ اليه ويعتصم به ويحتمي لديه وبه يهتدي لنكتشف من خلال ابتهالاته شفافية الدعاء والذوبان في الخالق، الهي ربي ، عززني فاني ضعيف ، ارزقني فاني فقير ، اجبرني فاني مكسور ، **انصفني فاني مظلوم ، أيدني فاني مقهور ، خذ بثأري فاني موتور .. ، وهكذا نكتشف أن أحمد بن عبد الوهاب ضعيف ، فقير ، مكسور ، مظلوم ، مقهور ، موتور ،** فجميع هذه الصفات تنطبق على كل العامة ، كل الرعاع تلك الطبقات الضعيفة المسحوقة المداسة ٠٠ التي تلتجيء الى الرحمة السماوية من خلال العقلية الدينية المسيطرة على أفكارهم فكأن الحل لا يوجد في الارض وكأن المصير تتحكم فيه القدرة الالهية والاحكام المكتوبة والمحبرة في ذلك اللوح وراء السماوات السبع ووراء البحار معلق في الفضاء ومكتوب على الجباه ٠٠٠ ولا يمكن ان يتحداه الانسان فأحمد بن عبد الوهاب ، بانتمائه الى القرن الثالث ولكل زمان ولحيانه في بغداد وفي كل مكان وولادته في بيئة اسلامية ككل البيئات المتخلفة في تفكيرها ومعتقداتها وتصوراتها وأحلامها فهذه العقلية تكبله حتى اللوحة قبل الاخيرة (25) وهو يصلي لينتهي الى الطاعة والاستكانة وهو يردد الآية « يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم ٠ » فرغم الظلم والاستبداد الذي يحيط به فانه لا يرى مفرا الا في الطاعة ٠٠ **الطاعة ٠٠ فكأنه لم يسأم الطاعة ٠٠** تلك هي مأساة أحمد بن عبد الوهاب !

واقع أحمد بن عبد الوهاب	مطلبه
ضعيف	عززني
فقير	ارزقني
مكسور	**أجبرني**
مظلوم	**انصفني**
مقهور	أيدني
موتور	اثأرلي

2) وعندما يكون أحمد بن عبد الوهاب في طريقه الى مجلس المظالم يترقب دوره في البداية وبكل هدوء طيلة اسبوع لكن هذا الهدوء ينفجر في آخر

اللوحة 3 ليصرخ فى النهاية « لكن الام أترقب ؟ افتح لى أبوابـك يـا مجلس المظالم » فبالرغم من أن هذا المجلس جعل من أجل المظالم وبحثا عن الحق فانه مغلق أمام الرعاع كحواجز جعلت لينظر اليها ويقع تعدادها دون نتيجة ٠

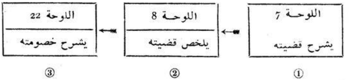
لكن ما قيمة هذه القضية ؟ انها أقصى من الخصومات وأكثر عمقا من الغش وأعنف من السرقة وهى كذلك بدون شك أسمى من قضية ضد الجاحظ من أجل هجائه

لكن ما القضية ؟ ان السؤال يبقى مطروحا فـى اللوحـة الرابعـة لتقـع الاجابة عنه مباشرة وفى آخر اللوحة الخامسة « بمن ألوذ ؟ والظلم مستبـد ؟ الى من أشتكى ؟ والايمان غريب ، والحق مقتول صريع ، والاسلام ضائع بين القضاة ؟ أيعجبكم تراكم القضايا ؟ أراضون عن غلاء المعاش ؟ انصروا العدل ! طالبوا بالحق ٠٠٠ أبكى ، أبكى ٠٠٠ »

قضيـة العامـة	قضية احمد بن عبـد الوهاب
• اعتداء بالعنف	• ثورة ضد تراكم القضايا
• غش فى المعاش	• كشف لغلاء المعاش
• سرقات تافهة	• مطالبة بالحق
	• بحث عن العدل

وهكذا فان ثورته ضد تراكم القضايا ومطالبته بالحق وبحثه عن العدل يثير فيه نوعا من الالم والامل والحلم ٠٠٠ انه الشوق والنظر الى الافق كما يحلـم به ! لكن الحلم شىء والواقع شىء آخر ليبكى فى النهاية ٠٠٠ ان أحمد بن عبد الوهاب يبكى كما يبكى العامة والرعاع من الالم من الظلم ٠٠ من الجور ٠٠ من الجوع ٠٠ انه بكاء الحق وسط عوالم مظلمة من التعسف والباطل ٠٠ فـاذا كانت مطالب العامة جزئية وعرضية فان قضية أحمد بن عبد الوهاب هى الاسس وهى المنطلق ولا يمكن اصلاح هذا بدون ذاك فهى فى النهاية متكاملة وما الفرق بينهما الا كالفرق بين الجوهر والمحيط فلا محيط للشىء دون جوهره ٠

3) أما المرحلة الثالثة من الخط المسرحى فعندما يشرح أحمد بن عبد الوهاب قضيته فى اللوحات « 7 ، 8 ، 22 » فان التلاحق الموضوعى يختل ظاهريا عندما ثم يلخصها ثم يشرح الخصومة بينه وبين الجاحظ ٠



• فعندما يشرح قضيته قد يظن القارىء للوهلة الاولى أنه سيبسط قضيته المعروفة مع الجاحظ لكن فى النهاية لا يعثر حتى على اسم الجاحظ نفسه ولا ذكر لرسالة التربيع والتدوير ويكتشف انه بقدر ما كانت قضية أحمد بن عبد الوهاب بسيطة بقدر ما هى معقدة « ما ذنبى ؟ اذا كانت قضيتى معقدة فلان الزمان معقد ، اذا كانت قضيتى متشعبة فلان الحياة متشعبة ، اذا كانت قضيتى صعبة فلان الدنيا صعبة ... » فكانت هذه الهموم هى نفسها هموم الانسان فى تعقدها وتشعبها وصعوبتها .

• أما فى الجزء الثانى فانه يلخص قضيته التى شرحها فى اللوحة 7 لكن التلخيص ليس مطابقا للشرح اذ انه قد ابرز الجوانب التى تناولها الجاحظ فى كتابه التربيع والتدوير لنقد وهجاء أحمد بن عبد الوهاب وهذه الادانات والتهم التى يقدمها احمد بن عبد الوهاب خمس :

- اولا : ضحك على شخصى .
- ثانيا : تهكم على نسبى وحسبى .
- ثالثا : سخر من منزلتى
- رابعا : ازدرى منصبى .
- خامسا : احتقر علمى .

وهكذا فبقدر ما كان الشرح هموما انسانية عامة تتناول مشاكل الانسان فى العالم الثالث والشعوب الحالمة بالغد فانه فى التلخيص يرتكز على اتهامات خاصة وذاتية .

• وفى الجزء الثالث يشرح خصومته مع الجاحظ بكل دقائقها وخفاياها وكواليسها الى ان انتصر عليه واحتفظ برتبة رئيس ديوان الخليفة فمن خلال هذا الشرح نستطيع ان نقف على دور المراة فى السياسة لان أغلب القرارات تتخذ فى المخادع وفى دار الحريم انها مشكلة الحكم والسياسة فى التاريخ الاسلامى الى درجة ان تتحكم الجوارى والقيان فى الخليفة ليصير لعبة وبيدق!

تتخذ القرارات باسمه وهو غائب فى لذة الخمرة والصيد والغلمان والجوارى ٠
4) فاذا كانت المسرحية تتخذ شكل غضب هستيرى يصيب أحمد بن عبد الوهاب لتتداخل المحاور والمضامين والاهداف ليصف عمله وحسبه ونسبه ورتبته ورتبة اجداده واجداد اجداده لكن هذه الهستيرية تتخللها أسئلة الخليفة .. لكن بالرغم من ان الخليفة يحدد له السؤال فانه يدخل فى متاهات من الاجابات والهوامش لنقد الجاحظ والتهكم عليه ٠

• ففى اللوحة 9 يسأله الخليفة السؤال الاول : « من هو هذا الرجل الذى تقول عنه إنه طعن فى شخصك ، وثلب حسبك ونسبك ، واستهان بمنصبك ومكانك ، وشتم علمك واستنقص أدبك ؟ »لكن جواب أحمد بن عبد الوهاب ــ الهجاء (فى أغلب اللوحة التانية ٠٠ وهو يصف عينيه وكذلك فى اللوحة 10 وهو يفاخره) ٠

• وفى اللوحة 11 يسأله الخليفة السؤال الثانى «صف له أدق الوصف٠٠»

فيجيب أحمد بن عبد الوهاب :

« أصفه لك أدق الوصف ، وفوق الوصف ، وما وراء الوصف حتى يكون ماثلا لنظرك وبين يديك ٠ أنا أعرفه وأعلم جوانبه الشىء البارز منها والمختفى ٠٠» وهكذا يواصل ابن عبد الوهاب وصف الجاحظ على امتداد اللوحة 12 دون أن يذكر اسمه ويبنيه للمجهول فى ضمير « هو » سبع مرات ثم يتحداه فى اللوحة 13 ٠

● وفى اللوحة 14 يسأله الخليفة السؤال الثالث :

« نريد منك أن تقدم لنا شخصك » لكن أحمد بن عبد الوهاب لا يقدم شخصه فقط بل يقدم جده ووالده ويشرح أمره وشأنه ويصف وظيفته وينهى هذه التمديدات كذلك بهجاء الجاحظ .

5) ان كانت رسالة التربيع التدوير قد ارتكزت على هجاء أحمد بن عبد الوهاب فان مسرحية المدنى قد تناولت هذا الجانب النقدى الكاريكاتورى فى وصف شخصية الجاحظ . « عينه البشعة كالبيضة المروبة فائضة من رأسه ٠٠ كعين الحرباء كعين القرنيط كعين الوزغة ٠٠ انها خضراء كقطعة من الزجاج الاخضر قد توسطتها خضرة كالقمع ملولبة العمق ٠٠

وهكذا جاءت شخصية الجاحظ كما رسمها أحمد بن عبد الوهاب كاريكاتورية ساخرة :

- حزمة من اللحم القديم المسوس
- يقدر طوله بستة أشبار واصبعين
- يقدر عرضه بشبرين
- حطبة قديمة مفلقة مشلخة
- من سلالة الزواحف الضخمة البرمائية الطائرة
- لا يملك شعرة واحدة بل شعره مستعار قد لصقه على دماغه ووجهه وذقنه
- و ... و ...

ثم يختم هذه الصورة الكاريكاتورية بوصف اجمالي عام لشكل الجاحظ في اللوحة (12)

« انظروا الى شكله المستدير طولا وعرضا ، وجها وقفا سطحا وعمقا ! رأسه مدور وخط كتفيه مقوس ، ظهره محدودب وظل ساقيه مقوس ، عجيزته مدورة ، وذراعه اليمنى مقوسة واليسرى مقوسة ، جوفه مدورة ، وأصابع يده كقدم الاوز مقوسة !.. »

وفي مقابل هذا الوصف الكاريكاتوري فان أحمد ابن عبد الوهاب يصف نفسه ويمدح شكله على عكس اوصاف الجاحظ سواء التي وردت في رسالة التربيع والتدوير أو تلك التي وصف بها الجاحظ في المسرحية : « ما ذنبي أن تراني عينك المريضة مستديرا وأن أكون في نظر العيون السليمة ظريفا مربعا ما ذنبي أن تراني عينك المجنونة شبحا ، خيالا وأن أكون في الحقيقة انسانا من احسن تقويم .. »

وهكذا جاءت هذه الصورة متوازية ليس لها نقطة التقاء بين اوصاف الجاحظ وابن عبد الوهاب بالرغم من ان الشخصيتين يمكن أن تلتقيا ودلك في شكليهما فالجاحظ جاحظ العينين كصورة شيطان وابن عبد الوهاب مربع لا تستطيع أن تميز طوله من عرضه .

6) ثم يقدم نفسه وجده ووالده في اللوحة 15 ، 16 ، 17 ، 18

● « أنا ولدت ، ونشأت ، وترعرعت في أحضان أسرة شريفة شرفها

الله ، أسرة شهيرة وقاهـا الله من الحاسديـن أسرة متدينـة حفظهـا اللـه ورعاها • من لا يعرف منكم أسـرة عبد الوهـاب ؟ جميعكـم تعرفـون أسـرة عبد الوهاب ومجدها الاثيل ، ونبلها التليد •• »

● أما الجاحظ : « فعائلته وضيعة ، ساقطة ، فقيرة ، جـاهلة ، رقيقـة الدين والايمان ، والزوافرية افرادها جميعا من اولئك الذين يسميهم النـاس الهملاوات ، والهمج ، والبكبك ، ووالده ؟ ألم يكن يبيع السمك والقرنيط فى سوق الجمعة ؟•• »

7) ثم يشرح شأنه ووظيفته ويصف طبقته فى اللوحات 19 ، 20 ، 23 سيقع تحليل هذا الجانب فى فصل « المدنى وتفجير الدوائر » •

8) الحيرة النهائية لاحمد بن عبد الوهاب فى اللوحة الاخيـرة (26) فـاذا كانت مسرحية المدنى تبدأ وتنتهى بالصلاة فهناك لوحة خارجة عن الدائـرة لتكون نقطة الارتكاز بالنسبة للمساحة المسرحية او المساحات الفيزيائية .

ـ يتبـع ـ

شاعـران .. وتتحد المعانـاة !

عاش الشاعر الاستاذ البشير المشرقـى أخيرا تجربـة اصـدار مجموعته الشعرية الاولى على نفقته بعنوان « فى البحث عن مقـر » وذاق المعاناة ، ولذا بمجرد صدور اول مجموعة شعرية لزميله الصادق شرف (أبو وجدان) بعنوان « شواطىء العطش » على نفقته أيضـا بادر مشكورا بموافاتنا بهذه الأبيات :

« شواطئك العطشى » من السحـر رونـق
يـرف عليهـا الزهـر ، والعطـر يعبـق ..
سطـور يشـع النـور منهـا تدفقـا ..
وينبض فيهـا الفـن ، والحـرف ينطـق ..
« شواطئك العطشى » اشتياق ولوعـة ،
وانـات قلـب بالصبابـة يحـرق !
اذا مـا تبـارى القـوم فى الشعـر مـرة ..
فـأنت الـى الفـن المقـدس أسبـق .

بريد القراء

اشيـــاء غامضـــة

بقلم : فـاطمة حيـدرى

● الصديقة : فاطمة حيدرى ـ بن عروس . ولو حتها بعنوان « أشياء غامضة » ننشرها كمنطلق لها لكتابات أخرى اكثر نضجا وأوضح رؤية . وتشجيعنا لها متواصل :

ما أضعف الانسان عندما يشعر بقيود الواقع الثقيل ، فيحاول ان يسافر بعيدا بأفكاره الثائرة ويحاول ان يجد حلا لكل لغز يصعب حله .

تعال نكتشف هذه المدينة الغريبة ، تعال أيها الشاعر وعرف فى كل قصيدة بهذه المدينة المحتلة من طرف أبنائها الجائعين ـ ففيها الصبى ينام ملطخا بالدماء يستيقظ ليشرب دون ان يغسل وجهه الصغير ـ فى هذه المدينة يباع الماء بالدلو وهذا الاخير لا يستطيع الشراء لان صاحب الامر تحرسه ثعابين صحراء المدينة وهو يترقب اياما قلائل ليحلقوا به فى الفضاء الواسع . تعال فشاعرهم قد ضاعت عنه البحور يبحث عن الانس والانيسة بين قوم يأكلون الخبز بمـرارة ويتطلعون لغد أفضل ، فى هذه المدينة يتغنى الشاعر بالحب وبأجمل الليالى معتزا وسعيدا يتغزل بالحبيبة ويتفاخر بما يوحى به اليه ، كأنه رسول العصر الحديث ، وعندما يشاهد السباق الحاد يسرع للقلم ليكتب « احبك يا وطنى » يزن التفعيلة بالارقام والابيات بالميزان لتركع الاوراق له ، ولكنهـا ترفـض الركوع !

هذا الشاعر هو عالم من الاسرار وانسان كبير واسع الخيال يسافر بوجدانه الى شواطىء اللذة والنعيم وقد تجاهل الحقيقة الصارخة فى هذه المدينة ـ تجاهل شابا فى الثلاثين من عمره صلبوه على حافة الطريق ، وامرأة تستعد للولادة

أودعوا العالم الآخر محبة جنينها عندما دقت الساعة الرهيبة ـ ماهذا ؟ ماذا حل بعصرهم ؟ حيث القوى عميل القوى ولا يتفاهمون الا بلغة الاوراق ولا يتكلمون الا بالالف والمليون حيث المائة قد تراجعت وانخفضت أمام هذا الارتفاع وجمع المال لديهم بأى طريقة هو المعنى الحقيقى الذى يكون رمزا عندما يدور الدولاب ٠

تعال نتحدث مع البائس الذى يشكو سوء حظه للآخرين وما ارتكبوا فى حق حياته ، فى هذه المدينة يتبادلون الحب بالمليم والمليم ٠ ويتسامرون بالنفاق والبهتان ٠

وأطفال السابعة يتساءلون كيف خرجوا من بطون أمهاتهم ؟ وكيف التقى الرجل بالمرأة ؟ ولماذا اجتمعا معا ؟ ويجمعون القول لتكون أحدوثة الاطفال النائمين وأقدامهم العارية فى الوحل .

فى هذه المدينة يوجد المتفتح والرجعى ـ وفيما الحبيب والحبيبة اجتمع بهما الصراع بين قانون العواطف وقانون الشرف ـ فيها الشاعر الذى يعانى معاناة الوجود المدهش وأعماق الانسان الغريبة وأعماق الكون الكامن وراء أبسط الاشياء ، حيث لا شيء ـ وقد خلت أشعاره من تجسيم حقوق البائس وقهره . انظر لهذه المدينة كقلعة خلدها التاريخ ـ فيها الجرىء منفى خارج حقيقته ، خارج امتداد طموحه ، من كل نبل وخير يتحلى به فى قلعة الغبار ينام لا يشاهد الغيوم ولا شمس المدينة فى هذه الطريق الطويلة والشوارع الضيقة ـ عندما تمتزج الاجسام عارية لايحتضن الرجل المرأة الالسبب ما ـ الى يصل الى حيث ينتهى ولا ينعم الآخرون بلذة الحياة الا عندما تنطفىء الانوار وتختفى آثار الاقدام عند ذلك تبدأ حياتهم ، ليصمتوا عندما تشرئب الاعناق .

فى هذه المدينة الغامضة : عندما تختفى شمس الاصيل ، يعود الفقير مطأطأ الرأس يتيه نظره فى كل صبى يترقبه خلف الباب . كل صبى يطلب العيش . يطلب أى شيء ـ حتى المستحيل ـ يغضب ، يلغى القدر والبر وكل بحار الدنيا .

عاد الفقير من حيث أبحر عندما تنفس الصبح وعاد بلاشيء ـ لا يستطيع أن يملك حتى قاربا صغيرا من الاخشاب المهملة ـ تأمل وشاهد الاخشاب المبعثرة تجاب بالمنيم فأكثر ٠

قوم هذه المدينة لا يعرفون لون السمك ولا أشكاله المتعددة وعندما تسألهم كم في السنة من يوم يلتفتون لبعضهم البعض في حيرة وخجل .

لا تفقد وعيك الحقيقي يا حبيبي ويكفينا بأن نغادر هذه المدينة المشحونة بالعنف فالواقع لا يبدو أمام الانظار جميعا ـ تعال نغادرها ونهرب من هذه الانفاس المتراكمة والجو الثقيل في هذا المكان ونبتعد عن وحشية الانسان وأبشع صور الارهاب ـ تعال لنحتمي ببيتنا المتواضع ، ونختلي هناك لتقص علي حكاية الحب أيام الجاهلية حكاية الوجود العنيد ، ونملأ الصراع بالسؤال والجواب او بلا جواب .

فهذه المدينة هي مفهوم أسرار مجهولة سجينة الكون العجيب . كلما أردت أن أناقش هذا الضباب الذي يعلوها ويلفها بسرعة البرق شعرت باختناق وبضغط دموي وبانهيار حزين يشملني حتى قدمي فأحس أنني عاجزة ، عاجزة أن أفهم الاشياء الغامضة .

ردود سريعة

◆ **الصديق : لزهر . ن ..** الديوان القومي للسياحة بتونس واربع قصائد : راو من فلسطين . وحوار في الحب . وشكوى سقيم . وكلمة في الشعر .

وكلمتنا في (شعره) لا يمكن الا أن نقر له فيها بقدرته الاولية على احترام (الخليل) ومن احترم الخليل فهل يليق به ان يتحدى سيبويه ؟ ففي ذلك تحطيم لقواعد لغتنا ونحوها وصرفها ونتمثل له في ذلك بهذين البيتين آملين أن يزدهر شعره :

تحن له الأرواح شوقا ولهفة (وتسبو ؟) بما تلقاه منه فتصبر
ففيه لداء القلب (طبا ؟) وراحة وفيه لكبت الروح (صوتا ؟) يعبر ..

الا يرى أن المبتدأ لا يمكن أن يكون مسبيا من خاصية الرفع هنا على الاقل ؟

◆ **الصديقة : شاذلية ..** حي النور . القصرين . تونس : في قصائدها الثلاث : احدى الفتيات . أخاف عليك . هدية حب شرير .

آسفة على حبي لك يا شرير ..
فلولاك ما دمعت عيناي من حين الى حين ..

البداية حسنة في جملتها ويمكن للصديقة ان تواصل الكتابة .. على انه لا يمكن لها ان تصل الى ما هو أحسن اذا لم تطلع على خصائص الشعر ومقوماته.. فدراسته ودراسة فنيات القصيد شيء ضروري . فمزيدا من الاطلاع على هذا الفن الجميل قراءة . وحفظا . فكتابة موفقة .

أصداء الفكر

للصادق شرف
(أبو وجدان)

● **الرياضيات العصرية :**

مجلة ثقافية شهرية تهتم بالعلوم الرياضية تصدر بتونس بادارة وتحت مسؤولية الاستاذ عبد المنعم شيخ روحه ، كتبت هذه المجلة فى عددها الحادى عشر السنة الثانية 1397 هـ 1977 م كلمة الى الاستاذ محمد مزالى مدير مجلة الفكر ووزير التربية القومية جاء فيها ما يلى :

إليكم يا معالى وزير التربية القومية :

انه لمن واجب كل مخلص لنفسه ووطنه ان يقول للمحسن احسنت دون مواربة ولا نفاق وللمسيء أسأت دون خشية او رهبة حتى نطالب المحسن بالتمادى وللمسيء بالتوقف . وان هذا الواجب لتمليه علينا ضمائرنا ويدفعنا اليه اخلاصنا ويحملنا عليه حبنا لهذا الوطن .

ولقد رأينا أنه من واجبنا ان نقول لكم يا سيادة الوزير لقد احسنتم صنعا باختياركم التعريب خطة والتجديد المستمر فى البرامج سياسة والتشجيع على الكتابة منهجا ووسيلة لتحقيق اهداف متعددة فى نفس الوقت .

لقد ارجعتم الى لغة هذه الامة كرامتها وعزتها ورددتم المتآمرين عليها على اعقابهم هؤلاء الذين كان فى حسبانهم انهم سيحققون أمنيتهم بالقضاء على لغة الضاد والحاقها باللغات الميتة كاليونانية واللاتينية .

لقد آمنتم بما للغة من قيمة فى تثبيت اصالة هذا الشعب ، فقررتم ان تعملوا جاهدين ومجاهدين فى سبيل احلالها فى مكانتها اللائقة بها دون تعصب او انغلاق .

وان هذا الشعب الذى طالما طالب بذلك منذ زمن بعيد لهو يـرقب اعمالكم ويباركها مستعدا ان يقدم فى سبيل ذلك الدعم والعون .

وان التاريخ سوف يكتب اعمالكم بكل فخر لتكون مفخرة الاجيال الصاعدة يستمدون منها الدروس والعبر الخالدة .

لقد اخذتم على انفسكم الاعمال الجسام ، فكونتم ادارة كاملة لمتابعة حركية البرامج وتحسينها تحسينا مستمرا مواكبا لتقـدم هذه الامـة اولا ولـروح العصر ثانيا .

ولا بد لنا من ان نبارك اعمالكم فى تشجيع التاليف المدعم للتعريب فظهرت كتب عدة وفى وقت قصير بينما لم يصدر نصفها بتونس منذ فجر الاستقلال . فهذا كتاب الفلسفة وكتب التاريخ والجغرافيا تاخذ مكانها فى مدارسنا ومعاهدنا لتسهل على المعلم مهمته وعلى التلميذ الكرع من فيض العلم . ولا نشك ان هذه الجهود ستتواصل بحول الله للتمديد فى قائمة الكتب التى ستكـون مكتبـة تونس العربية .

ولا يفوتنا فى هذا المجال من ان نقدم اليكم بعض الملاحظات راجين ان تكون مفيدة حتى تساعد على دفع عجلة التقدم ونكون قد أسهمنا معكم فى عملكـم العظيم ولا نخالكم الا دارسين لها ومعطين اياها ما تستحق من العناية :

1) ان خطتكم للتعريب لم توضع بعد فى اطار متكامل بين المعلم والمراحـل وآجالها ، لذلك نرغب منكم ان تكون خطة التعريب بينة الملامح مضبوطة الآجال والمراحل حتى يستعد لها المعنيون ويقدمون لها سبل النجاح .

2) ان التكوين المستمر للمربين الذى اقتحمتموه فى خطتكم والذى تفرضه الظروف لم يستكمل مقوماته ولم يخطط له لحد الآن بالـرغم عن وجـود بعض الامور العاجلة التى لا تحتمل أى تأخير ، ونخص بالذكر التكـوين الريـاضى للمربين المقبلين أحببنا أم كرهنا على حركية وتغييرات فى هذه المادة سواء فى المادة ذاتها كما هو الحال فى التعليم الثـانوى او فى طريق تدريسهـا وسبـل ايصالها للتلميذ كما هو الحال فى التعليم الابتدائى .

3) ان بعض البرامج المعربة أو التى ستعرب تبقى زمنـا طويـلا فى الدرس والتمحيص الامر الذى يفوت أمور اخرى ضرورية للنجاح مثل اطلاع العموم عليه والاستعداد لتطبيقه فى ظروف ملائمة .

4) ان برامج الترشيح سواء في مستوى الدراسة أو مستوى الامتحـان أو التربص تحتاج الى مزيد من الدراسة والمراجعة فلا مندوحة من القيام بدراسة عميقة وسريعة تسمح بتطوير هذا القطاع وتحسينه .

وختاما نقول لكم يا سيادة الوزير اننا كافراد ومجموعات على أتم الاستعداد لشد ازركم والعمل على انجاح برنامجكم اذ ان خطتكم هي خطتنـا وسبيلكـم هو سبيلنـا .

- **مسابقة في اللغة العربية :**

يعلن مجمع اللغة العربية الاردني اجراء مسابقة ، على نطاق العالم العربي ، لوضع كتاب « المرشد في اللغة العربية » حسب الشروط التالية :

1) يتضمن الكتاب عرضا لقواعد النحو الاساسية التي لا غنى عنها ، تقدم في نصوص قصيرة جذابة .

2) يشمل قواعد الاملاء العربية ، وعلامات الترقيم المختلفة .

3) يشمل معجما صغيرا للالفاظ اللغوية الصحيحة ، مع تصحيح الاغـلاط الشائعة في الكتابة والتعبير .

4) يحتوي على نصوص في موضوعات تتعلق بالحياة المعاصرة ، على أن تجتمع في ما يتضمنه الكتاب : السهولة ، والفصاحة ، والدقة ، والوضوح .

5) تلحق بالبحث فهارس دقيقة تسهل الرجوع الى مواد الكتاب .

6) يكون عدد صفحات الكتاب ما بين 150 ، 200 صفحة .

7) يقدم المخطوط في ثلاث نسخ مطبوعة على الآلة الكاتبة .

8) آخر موعد للمسابقة 31 / كانون الاول / 1978 م. وترسل المخطوطات المعدة للمسابقة بالبريد المسجل الى الامين العام لمجمع اللغة العربية الاردني (صندوق بريد 13268 ـ عمان ـ المملكة الاردنية الهاشمية) أو يسلـم اليـه يـدا بيـد .

9) تدفع المكتب الثلاثة الفائزة فى المسابقة جوائز مالية كما يلي :

ـ الجائزة الاولى مقدارها : (750) دينارا أردنيا

ـ الجائزة الثانية مقدارها : (500) دينار اردنـي

ـ الجائزة الثالثة مقدارها : (350) دينارا أردنيا

10) تعلن النتائج خلال شهر آذار عام 1979 م.

11) الكتب الثلاثة الفائزة تصبح ملكا لمجمع اللغة العربية الاردني من حيث حقوق التصرف والنشر .

• دار الثقافة بباب العسل :

مع تهانينا الحارة ، نتقبل بكل ارتياح نبأ تسمية صديقنا الاستاذ وحيد الخضراوى مديرا جديدا لدار الثقافة الجديدة بعد ان كانت دار الشباب بباب العسل تمنياتنا له بالنجاح فى مهامه ، ومهام الدار والاهم من ذلك مهام الثقافة وهمومها لتكون تلكم الدار مركزا يشع على من حوله اشعاعا ثقافيا لا تحجب عنه الغيومات الفلكلورية الممارسة باسم الثقافة وعلى حسابهـا ، لا تحجب عنه الرؤية الواضحة لواقعنا الثقافى لمعالجة متناقضاته فى كل نقطـة هـي محسوبة على الثقافة حتى ترسى متينة قواعدها الحق .

ولقد بدأت نشاطات دار الثقافة بباب العسل تحت اشراف مديرها الجديد بالقيام بدعوة شاملة لكل من يتواجد على الساحة من أدباء وشعـراء ومفكـرين وفنانين وصحافيين لحضور الندوة الادبية التى قـدم فيهـا الكـاتب مصطفى الفارسى روايته الجديدة (حركات) وقد انتظمت الندوة عشية يوم الخميس 18 ماى 1978 على الساعة السادسة والنصف .

• قانون الجوائز الادبية يتطور :

فى حفل توزيع الجوائز على الفائزين فى مسابقة (القصـة والشعـر) التى نظمت إحياء لذكرى سـاقية سيدى يوسف الشهيدة أعلن الاستـاذ الشـاذلى القليبى وزير الشؤون الثقافية فى ذلك الحفل المنتظم يوم الجمعة 19 / 5 / 78 بمقر الوزارة عن اعادة النظر فى جملة النصوص القـانونية المتعلقـة باسنـاد الجوائز الادبية والعمل على تطويرها حسب معطيات جديدة تتماشى والتطـور الفكرى والثقافى الذى تشهده بلادنا .

ومن المعلوم أن الطريقة المتبعة في اسناد الجوائز سلفا كانت تشجع الكم قبل الكيف اذ توزع جائزة القصة مثلا على العديد من القصاصين . اما الطريقة التي من المتوقع اقرارها هي اسناد جائزة كبرى واحدة لأحسن مجموعة قصصية وأخرى لأحسن مجموعة شعرية ... وأخرى لأحسن كتاب في النقد أو الدراسات واعتبار الكيف هو المقياس الذي ستسند الجوائز على مدى ارتفاع حرارته الكيفية طبعا . وفي ذلك تماش مع ما يتطلبه التطور الفكري في بلادنا . فالجودة وفي كل الميادين هي مقياس الرقي الحقيقي لأية أمة .

• « حركات » مصطفى الفارسي :

بنات الحروف هي الحركات . ولن تلد الحروف بناتها ما لم تتحرك .. ولن تتحرك مالم يأتها زمن المخاض العسير وعندهاتضع نفسها علىطاولة الميلادكظاهرة عصرية فان لم يقدر لها ان تعيش عصر الطاولات فلا بد أن تاخذ في ساعة المخاض وضعية معينة ليسهل الوضع وهذا ما نجده فعلا في « حركات » مصطفى الفارسي التي أخذت للوضع ساعة المخاض وضعية يعتقد الكاتب أنها أقرب وأنضج وضعية تتخذها أرحام الدفع للميلاد وبأقل ما يمكن من الآلام فاسمعه في توطئة الكتاب يقول : « **ليعلم كل طالب أن وراء مطلبه مطالب أخرى .. وما ضاع حق وراءه طالب .. يكفي أن تتحرك الحروف .. يكفي ان تؤمن بالفعل الخلاق .. لتكون طريق الثورة طريقة الى الله الانسان . فالحروف الموصولة قوة لا تقهر** » . « **وهل بامكان الخط أن ينوب عن اللسان ؟ وهل بامكان اللسان أن ينوب عن ألفعل ؟** » .

فعلا لا يمكن أن تؤدي أية كتابة دورها ما لم تتفاعل مع لسان القارىء . ولا يمكن للسان القارىء أن يؤدي دوره ما لم ينقل كل ما يقرؤه الى اليد الفاعلة وبدون ذلك لا تبنى الامم . ولا يكون للانتاج الفكري المرجو منه ما لم يصبح ممارسة ناضجة . وهذه كلمة مصابة بالاستعجال عن كتاب « حركات » لمصطفى الفارسي الصادر عن الدار التونسية للنشر 1979 ربما عدناله مستقبلا بالكفاية.

الصادق شرف
(أبو وجدان)

الفهـرسـت

العـدد 9 ـ جـوان 1978 السنـة الثـالثة والعشـرون

الفكر
مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا

مؤسسها ومديرها المسؤول
محمد مزالى

رئيس التحرير : **البشير بن سلامة**

الادارة : 13 نهج دار الجلد ـ تونس
تلفون : 260.237

الحساب الجارى : 33769 ـ تونس

العنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهرى أوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوى :

اشتراك عادى تونس والبلاد العربية 3 دنانير
اشتراكات بالخارج 3.500 ثلاثة دنانير ونصف
اشتراك الانصار د 4 دنانير

- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة او يصب فى حسابها الجارى : 33769 ـ تونس
- الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم : مدير مجلة « الفكر »

صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

EL-FIKR Revue mensuelle culturelle 23ᵉ Année N° 9 Juin 1978

طبع الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجي سليم تونس
تحت رقم 495 / 78 - الايداع القانوني 2 / 78